

بيان السعادة في مقامات العبادة

حاج سلطان محمد گنابادی

ملقب به سلطانعلیشاه







هو
١٢١

متن عربى

تفسير شريف
بيان السّعادة فى مقامات العبادة

تأليف

العارف الشّهير

سلطان محمّد الجنابذى سلطانعليشاه قدس سره

هو
١٢١

(المجلّد التّاسع)

متن

بيان السّعادة فى مقامات العبادة

تأليف
العارف الشّهير
الحاج سلطان محمّد الجنابذى الملقّب بسلطانعليشاه
طاب ثراه

سُورة مريم

مكّيّة بتمامها، و هی ثمانٍ و تسعون آيةً.



﴿كٓهيعٓصٓ﴾ قدسبق فی اوّل البقرة مابه غنية عن بيان امثال هذا، و ذكر فی خصوص هذا انّه اشار بالكاف الی كربلاء، وبالهاء الی هلاكة اهل البيت، و بالياء الی يزيد و بالعين الی عطشهم و بالصّاد الی صبرهم.

و نسب الی اميرالمؤمنينعليه السلام انّه قال فی دعائه: اسألك يا كهيعص.

و قرئ باخفاء نون عين و القياس اظهاره لانّ سكون الحروف المقطّعة فی اوائل السّور عرضیّ بعرض الوقف بنيّة الوصل فلاينبغی اجراء حكم السّكون والوصل عليها.

﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّآ﴾ قرئ ذكر مصدراً مرفوعاً، و فعلاً ماضياً من الثّلاثیّ، وامراً من التّفعيل، وعلی الاوّل كان خبراً لما قبله او

فی تأويل كهيعص الی واقعة الكربلا

لمحذوفٍ، او مبتدءٍ لمحذوفٍ، او مبتدءٌ خبره زكريّا، او خبره اذ نادى، و رحمة ربّك، فاعل المصدر مضافٌ اليه او مفعوله، والفاعل محذوف اى ذكر ربّك رحمة ربّك عبده، او الفاعل زكريّا او رحمة ربّك، مضافاليه لادنى ملابسةٍ والفاعل مثل سابقه والمعنى ذكر ربّك برحمة عبده، وعبده مفعول الذّكر او الرّحمة و زكريّا بدل منه او عطف بيانٍ او فاعل الذّكر او مفعوله او خبر منه، و كون زكريّا خبراً للذّكر باعتبار انّ الكامل وجوده ذكر للرّبّ، و زكريّا بالمدّ والقصر وتشديد الياء، وكذا بتشديد الياء وتخفيفه بدون المدّ والقصر اسم.

﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾ اذ ظرف للذّكر او للرّحمة او مفعول للذّكر او خبر له او بدل من الرّحمة او من عبده او من زكريّا نحو بدل الاشتمال.

﴿نِدَآءً خَفِيًّا﴾ لضعف الشّيخوخة او لانّه كان اقرب الى الاخلاص او لخوف اطّلاع الموالى على طلبه للولد ومعاندتهم له بذلك او لخوف اطّلاع الخلق على طلبه للولد وقت اليأس عن الولد وملامتهم له على ذلك.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى﴾ اظهار لعجزه ومسكنته مقدّمة للدّعاء، او اظهار ليأسه عن الولد واتّكاله فى دعائه على محض فضله من دون مدخليّة الاسباب الطّبيعيّة ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ﴾ فى الارث الصّورىّ من التّضييع والنّزاع والخلاف، او فى الارث المعنوىّ من الاختلاف وتضييع العباد،

وهذا اشعارٌ بانّ دعاءه خالٍ من مداخلة الهوى مقدّمة للاجابة.

و قرئ خفت بضمّ التّاء من الخوف وخفت الموالى بكسر التّاء و تشديد الفاء من الخفّة يعنى خفّت الموالى ﴿مِن وَرَآءِى﴾ و لم‌يكن لهم حلم يمكنهم به تحمّل متاعب الهداية من العباد ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا﴾ اظهار ليأسه من الاسباب واتّكاله فى دعائه على فضله، والعاقر يستوى فيه المذكّر والمؤنّث.

﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ﴾ لامن الاسباب ليأسى من الاسباب ﴿وَلِيًّا﴾ يلى امورى بحسب الظّاهر والباطن ﴿يَرِثُنِى وَ يَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ قرئ بالرّفع والجزم، وقرئ وارث آل يعقوب بنصب وارث واضافته على ان يكون حالاً من احد الضّميرين.

وقرئ او يرث آل يعقوب على التّصغير، ووارث من آل يعقوب بالرّفع على ان يكون فاعل يرثنى ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ مرضيّاً.

في استجابة دعاء زكريّا وانبئها

﴿يَـٰزَكَرِيَّآ﴾ جواب سؤال مقدّر بتقدير القول كأنّه قيل: ماقال فى جوابه؟ ـ فقال: قال الله: يا زكريّا﴿ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ﴾ ولدٍ ذكرٍ ﴿ٱسْمُهُ يَحْيَىٰ﴾ الجملة صفة للغلام او جواب سؤالٍ مقدّرٍ ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ هذه صفة بعد صفة او حال او جواب لسؤالٍ مقدّرٍ والمراد بالسّمّى المشارك فى الاسم، او المماثل فى الوصف والحال.

﴿قَالَ﴾ قدتكرّر فيما سلف انّ امثال هذه جواب لسؤالٍ مقدّرٍ

كأنّه قيل: فما قال زكريّا عليه السلام؟

فقال: قال ﴿رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ﴾ استفهام للتّعجّب، واستغرابه كان من قبل الاسباب لامن عطاء مسبّب الاسباب ولذلك ذكر عدم المساعدة من جهة الاسباب ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَـٰاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ قرئ عتّياً بضمّ العين وكسرها وهو مصدر بمعنى الكبر او بمعنى يبس الجلد وجفافه ونحول العظم والمفاصل، وقرئ عسيّاً بالسّين بمعناه.

﴿قَالَ﴾ جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه استبعد من مقام الانبياء عليهم السلام مثل هذا الاستغراب فقيل: أقال زكريّا ذلك؟ ـ فقال: قال ﴿كَذَٰلِكَ﴾ او قال الله او الملك المبشّر الامر كذلك او كذلك مفعولٌ لقومه ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾ وقوله ﴿هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ﴾ بيان لكذلك والمجموع مفعول قال الاوّل، وقرئ وهو علىّ هيّنٌ بواو العطف والمعنى انّى لاحاجة لى الى الاسباب حتّى تستغر به بالنّظر الى الاسباب ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ﴾ قرئ خلقناك ﴿مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ وايجاد المعدوم اصعب من جعل العاقر ولوداً.

عن ابى جعفر عليه السلام: انّما ولد يحيى بعد البشارة من الله بخمس سنين ﴿قَالَ﴾ زكريّا عليه السلام ﴿رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً﴾ علامة اعرف بها الميعاد ووقت الانجاز لاصدق الوعد فانّه بعيدٌ عن مقام الانبياء عليهم السلام.

﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ﴾ اى لاتقدر على التّكلّم مع

الخلق دون المناجاة مع الله ﴿ثَلَـٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾حالكونك سليماً غير ذیعلّة بلسانك والمراد ثلاث ليالٍ بايّامها فانّه يستعمل اليوم او اللّيل ويراد به دورة الفلك الاطلس بليلها ويومها ولذلك قال فی سورة آل عمران: ثلاثة ايّام الاّ رمزاً نقل انّه اعتقل لسانه عن التّكلّم مع النّاس ولميعتقل عن ذكر الله.

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾ من مصّلاه، سمّی المصلّی محراباً لكونه محلّ محاربة الشّيطان، قيل: وكان زكريّا عليه السلام قداخبر قومه بما بشّر به فلمّا خرج عليهم وامتنع من كلامهم علموا اجابة دعائه فسّروا به.

﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ﴾ اومی اليهم، وقيل: كتب فی الارض ﴿أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ صلّوا فی الصّباح والمساء، او سبّحوا لله فيهما، او فی جملة او قاتكم فأنّه يستعمل هذان اللّفظان فی استغراق الاوقات ﴿يَـٰيَحْيَىٰ﴾ هو بتقدير فأعطيناه الغلام وقوّيناه وآتينا الكتاب وقلنا يا يحيی ﴿خُذِ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ ای النّبوّة او الرّسالة او كتاب التّوراة ﴿بِقُوَّةٍ﴾ وعزيمةٍ من قلبك وهو اشارة الی التّمكين فی مقام النّبوّة فانّ التّلوين لايليق بصاحب النّبوّة.

﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ﴾ ای الرّسالة والقدرة علی المحاكمة بين الخصوم، او النّبوّة والحكم بين المخاصمين فی وجوده من قوائه و جنوده، او الولاية وآثارها الّتی هی الدّقّة فی العلم والعمل

﴿صَبِيًّا وَحَنَانًا﴾ الحنان كالسّحاب الرّحمة والرّزق والبركة والهيبة والوقار ورقّة القلب وهو عطف على الحكم بمعنى اعطيناه رحمة من لدنّا او بركة (الى آخر معانيه) فصار مرحوماً او ذابركة (الى آخرها) او بمعنى اعطيناه رحمةً فصار راحماً وبركة على الغير، او هو بمعنى اسم الفاعل او المفعول وعطف على صبيّاً والمعنى آتيناه الحكم حالكونه راحماً او مرحوماً.

﴿مِّن لَّدُنَّا﴾ وحينئذٍ يجوز ان يكون من لدنّا متعلّقاً بآتينا اى آتيناه الحكم من لدنّا حالكونه صبيّاً وراحماً او مرحوماً ﴿وَزَكَوٰةً﴾ هى فى الاعراب مثل حناناً والزّكوة صفوة الشّىء او صدقة تخرجها من مالك لتطهّر الباقى او نماء المال.

﴿وَكَانَ تَقِيًّا وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا﴾ متكبّراً متطاولاً بالنّسبة الى الخلق ﴿عَصِيًّا﴾ بالنّسبة الى الحقّ.

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ﴾ اى تحيّة منّا عليه، او سلامة وامن من الآفات البدنيّة والنّفسانيّة عليه ﴿يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ و لمّا كان الاوقات الثّلاثة اوّل الخروج والدّخول فى عالم آخر وهو وقت الانقطاع من المألوف والاتّصال بغير المألوف وكلاهما موحش للانسان خصّصها بالذّكر.

ذكر مريم فى الكتاب و حملها

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ﴾ تنحّت ﴿مِنْ أَهْلِهَا﴾ واستعمال الانتباذ للاشارة الى انّها ذهبت الى تلك النّاحية

بحيث كأنّها نبذها نابذ فانتبذت من اهلها ﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ قيل ذهبت وانغزلت من اهلها فى دار زكريّا الى مشرق الدّار للخلوة للعبادة او للاغتسال، او الى مشرق البلد خارج البلد للاغتسال، او الى مكانٍ يشرق عليه الشّمس لانّها خرجت فى يوم شديد البرد فجلست للاستدفاء بالشّمس، او الى الفرات الى النّخلة اليابسة للغسل قبل الحمل، او للطّلق بعد الحمل.

ويكون قوله ﴿فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ من قبيل عطف التّفصيل على الاجمال ولايكون الفاء للتّرتيب المعنوىّ، واتّخاذ الحجاب كان فى المحراب او فى المغسل او فى محلّ شروق الشّمس.

﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ يعنى جبرئيل عليه السلام او الرّوح الّذى هو فوق جبرئيل، والتّشريف بالاضافة يقتضى ان يكون هذا هو المراد، على انّ التّوجّه الى البشر و تربية آدم، انّما هو من الرّوح الّذى هو ربّ النّوع الانسانىّ وهو اعظم من الملائكة كلّهم ﴿فَتَمَثَّلَ﴾ اى تصوّر بصورة ﴿لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ قيل تمثّل فى صورة شابٍّ سوىّ الخلقة.

﴿قَالَتْ﴾ بحسب اعتيادها التّعوّذ بالله عند كلّ مخوفٍ ﴿إِنِّيَ أَعُوذُ بِالرَّحْمَـٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ متّقياً معتنياً باستعاذتى خائفاً من الله، وقيل: انّه كان رجلاً مسمّى بالتّقى وكان مشهوراً

بالفجور فظنّت انّه هو حيث رأته لايتّقى من النّظر الى الاجنبيّة.

و قيل: ان نافية والمعنى ما كنت متّقياً من الشّرّ لانّك نظرت الى مالايجوز لك النّظر اليه ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾ فلاتستعذى منّى به ﴿لِأَهَبَ﴾ قرئ بالتّكلّم والغيبة ﴿لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًّا﴾ طاهراً من الذّنوب وممّا يتلوّث به البشر او نامياً او مباركاً او متنعّماً او صالحاً.

﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ﴾ استفهام للتّعجّب والتّحيّر من غلام من غير اسباب التّوالد مورث للّوم والاتّهام ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ﴾ يعنى بطريق النّكاح المشروع فانّه يكنّى به عنه كثيراً وبقرينة قولها ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ البغىّ والبغوّ الامة الفاجرة وكلّ فاجر.

﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ﴾ قدمضى نظيره ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥ﴾ عطف على مقدّر اومتعلّق بمعطوف مقدّر اى نفعل ذلك لنجعله ﴿ءَايَةً﴾ دالّةً على آلهتنا وعلى سعة علمنا وقدرتنا على مالايقدر عليه احد من الايلاد من غير والدٍ ومن احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص ونفخ الرّوح فى الطّين وجعله حيّاً ﴿لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾ عليهم ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ محتوماً.

﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ بان نفخت فى جيب مدرعتها، واختلف فى مدّة حملها فما فى الاخبار الصّحيحة انّ مدّة حملها كانت تسع ساعاتٍ

بحذاء تسعة اشهرٍ، و فى بعضها: انّها كانت ساعةً، وقيل: انّها كانت ثمانية اشهر او سبعة او ستّة اشهر.

و عن الباقرعليه السلام انّه تناول جيب مدرعتها فنفخ فيه نفخة فكمل الولد فى الرّحم من ساعته كما يكمل فى ارحام النّساء تسعة اشهر فخرجت من المسحّم وهى حامل مجّح [1] مثقل فنظرت اليها خالتها فأنكرتها ومضت مريمعليها السلام على وجهها مستحيية من خالتها و من زكرياعليه السلام.

﴿فَانتَبَذَتْ بِهِۦ﴾ فانعزلت مع الحمل ﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾ بعيداً.

عن السّجّادعليه السلام خرجت من دمشق حتّى اتت كربلاء فوضعت فى موضع قبر الحسينعليه السلام ثمّ رجعت فى ليلتها.

اقول: موضع مريمعليها السلام معروف فى سمت الرّأس من مشهدهعليه السلام ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ﴾ اى حركة الولد للطّلق مخضت المرأة كمنع وسمع وعنى مخاضاً بفتح الميم ومخاضاً بكسرها ومخّضت تمخيضاً وتمخّضت اخذها الطّلق ﴿إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ اليابسة الّتى الهمت ان تأتيها، والجذع مابين العرق والغصن.

﴿قَالَتْ﴾ بعد ماولدت عيسىعليه السلام ونظرت اليه ﴿يَٰلَيْتَنِى مِتُّ﴾ قرئ بكسر الميم وضمّها ﴿قَبْلَ هَٰذَا﴾ قالت ذلك استحياء ومخافة لومهم ﴿وَكُنتُ نَسْيًا﴾ قرئ بكسر النّون وهو اجود اللّغتين

---

۱ - مجّح بتقديم الجيم على الحاء المشدّدة بمعنى عظيم البطن.

فى تفسير مكاناً قصياً على كربلا

وبفتحها وهو فى الاصل مصدر يستعمل فى الشّيء الحقير الّذى من شأنه ان ينسى وفيما يلقى من الشّيء ولايعتنى به ﴿مَّنسِيًّا﴾ التّوصيف به للمبالغة.

﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ﴾ قرئ بكسر الميم و فتحها والمنادى كان عيسى عليه‌السلام او جبرئيل عليه‌السلام ﴿أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ شريفاً ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ هزّه و به حرّكه ﴿تُسَٰقِطْ﴾ قرئ بضمّ التّاء الفوقانيّة وتخفيف السّين وكسر القاف، وقرئ يساقط بفتح الياء التّحتانيّة وتشديد السّين وبفتحها وتخفيف السّين وبفتح التّاء الفوقانيّة وتشديد السّين ﴿عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا فَكُلِى وَٱشْرَبِى﴾ من الرّطب والماء، او كلى ممّا يتغذّى به واشربى ممّا يشرب فى هذا المكان او مطلقاً.

﴿وَقَرِّى عَيْنًا﴾ بهذا الولد فانّه لاينبغى ان تحزنى بسببه ولاتكترثى بما توهّمت من لوم الجهّال ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ﴾ اى فان ترى ﴿مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا﴾ فسألك عن ولدك ﴿فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ اى سكوتاً ولكونه بمعنى السّكوت فرّع عدم التّكلّم عليه، قيل: كان فى بنى‌اسرائيل انّه من اراد ان يجتهد فى العبادة صام عن الكلام كما يصوم عن الطّعام.

ولذلك استعمل الصّوم فى عدم التّكلّم ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ قيل: صارت مأذونة لهذا القدر من الكلام، وقيل: كانت

تفهم بالاشارة انّها صائمة و لاتتكلّم.

قيل: لفّته فى خرقةٍ ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟﴾ بعد مارأوها حاملةً لمولودٍ و لم‌يكن لها زوج ﴿يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾ الفرىّ الامر المختلق المصنوع او العظيم ﴿يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ﴾ قيل: كان هارون امرءً صالحاً فنسبوها اليه استهزاءً او لصلاحها وعبادتها.

وقيل: انّ هارون كان اخاها لابيها، وقيل: انّ هارون كان معروفاً بالفسوق فنسبوها اليه ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ﴾ حتّى اكتسبت هذا الفعل منه ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ بغت المرأة فجرت فهى بغىّ و بغوّ.

في تكلّم عيسى بن مريم عليهما السلام

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ ان كلّموه و اسألوه ﴿قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ﴾ يعنى شأنه ان يكون فى المهد ﴿صَبِيًّا﴾ قيل: غضبوا من ذلك وقالوا: سخريّتها بنا أشدّ علينا من زناها.

﴿قَالَ﴾ عيسى عليه السلام ﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ اقرّ لنفسه بالعبوديّة اوّلاً لئلاّ يتوهّموا ماتوهّموه لكونه بلاابٍ وتكلّمه حين الولادة من انّه ابن الله او انّه هو الله، او انّه ثالث ثلاثةٍ ﴿ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ اتى بالماضى لتحقّق وقوعه، او لتحقّق استعداده.

والمراد بالكتاب الانجيل او كتاب النّبوّة ﴿وَجَعَلَنِى نَبِيًّا وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا﴾ كثير الخير نفّاعاً او نامياً فى الخير.

﴿أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِى بِالصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۝ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى﴾ قرئ برّاً بفتح الباء وصفاً بمعنى كثير البرّ وحينئذٍ يكون عطفاً على مباركاً ويلزم منه الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه، او عطفاً على او صانى بتقدير جعلنى، وقرئ برّاً بكسر الباء مصدراً فيكون عطفاً على الصّلوة.

﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا﴾ متجبّراً متكبّراً ﴿شَقِيًّا ۝ وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ تغيير السّلام مع قوله تعالى سلامٌ عليه بالتّعريف والتّنكير وبنسبة الاوّل الى الله والثّانى الى عيسى عليه السلام نفسه يعلم وجهه من تفاوت مقام عيسى عليه السلام ويحيى عليه السلام.

﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ممّن اقرّ لله بالعبوديّة ﴿عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ لامن قالوا بآلهته او ببنوّته لله ﴿قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾ قرئ بالرّفع على ان يكون بدلاً من عيسى عليه السلام او خبراً بعد خبرٍ، او خبراً لمبتدءٍ محذوفٍ اى هذا الكلام قول الحقّ، او هو يعنى عيسى عليه السلام قول الحقّ.

وقرئ قول الحقّ بالنّصب فيكون مفعولاً مطلقاً مؤكّداً لغيره، والاضافة بيانيّة اى اقول قولاً هو الحقّ او بتقدير اللاّم اى هو قول الله.

﴿ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ اى يشكّون او يجادلون وينازعون بان يقول اليهود هو لغير رشده او ساحر ويقول النّصارى هو ابن الله، او هو الله، او هو واحد من الثّلاثة ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ﴾ اى ماصحّ

ومالمكن لله فانّ هذه الكلمة تستعمل ويراد بها نفى الامكان ﴿أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾ كما يقوله بعض النّصارى ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ﴾ اى نـزّه نزاهته من المجانسة مع الولد والاحتياج الى الصّاحبة.

﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ فليس كون عيسى عليه السلام بلااب سبباً للقول بانّه ولد لله ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى﴾ قـرئ بفتح الهمزة بتقدير اللاّم متعلّقاً بقوله فـاعبدوه والفـاء زائـدة، او بتقدير امّا او بتوهّمها، او بكون انّ ومابعدها عطفاً على الصّلوة.

وقرئ بكسر الهمزة معطوفاً على انّى عبدالله، او ابتداء كلام من الله بتقدير قل خطاباً لمحمّد صلى الله عليه وآله يعنى قل يا محمّد صلى الله عليه وآله انّ الله ربّى ﴿وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَـٰذَا﴾ المذكور من الجمع بين اعتقاد ربوبيّة الله والعبادة له الّذى هو كمال القوّتين العـّلامة والعـمّالة، او مـن العبادة والخروج من الانانيّة والاستقلال بالرّأى والدّخـول تـحت الامر الآلهيّ ﴿صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ الى الله وقدمضت الآية فى سورة آل عمران.

﴿فَاخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾ الاحزاب جمع الحـزب والحزب كلّ جماعةٍ منقطعةٍ عن غيرهم برأيٍ او صنعةٍ، ولفظة من امّا ابتدائيّة والظّرف حال من الاحـزاب او زائـدة، وبـينهم ظـرف للاختلاف واختلافهم كان فى ان قال بعضهم: انّه هو الله، وبعضهم: هو ابن الله، وبعضهم: هو واحد من الثّلاثة، وبعضهم: هو وامّه آلهان.

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ باعتقاد الخلاف فى المسيح عليه السلام ﴿مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ والمشهد امّا مصدر ميمىّ او اسم مكان ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ هو صيغة التّعجّب ﴿يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ لانّ الابصار تصير فى ذلك اليوم حديدة.

﴿لَـٰكِنِ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ وضع الظّاهر موضع المضمر اشعاراً بعلّة الحكم وتفضيحاً لهم بذكر وصف ذمّ لهم يعنى انّهم ظالمون والظّالمون ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ يعنى فى الدّنيا.

﴿فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ يعنى انّهم صمّ بكم عمى عن الحقّ فى الدّنيا، ولاينفعهم حدّة البصر فى الآخرة، و يجوزان يكون المعنى ابصر الظّالمين فيكون الباء للتّعدية دون الهمزة ويكون يوم يأتوننا مفعولاً به او ظرفاً.

ويكون معنى قوله لكن الظّالمون اليوم لكنّ الظّالمون يوم يأتوننا او يوم الدّنيا فى ضلالٍ مبينٍ، و يجوزان يكون المعنى ابصرهم بسبب الانبياء عليهم السلام .

ويكون يوم يأتوننا مفعولاً ثانياً او ظرفاً وقوله لكن الظّالمون اليوم فى ضلالٍ مبينٍ على المعنيين المذكورين ﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾ يا محمّد صلى الله عليه وآله ﴿يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ اى حسرة الكفّار على مافرّطوا فى جنب الله او حسرة الكفّار على التّفريط والدّانين من المؤمنين على تقصيرهم فى العمل.

﴿إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ بدل من يوم الحسرة والمعنى اذ قضى امر الخلائق وحسابهم فيدخل اهل الجنّة الجنّة واهل النّار النّار ويؤتى بالموت فى صورة كبشٍ فيوقف بين الجنّة والنّار بحيث يراه اهل الجنّة واهل النّار جميعاً ثمّ ينادون اشرفوا وانظروا الى الموت فيشرفون وينظرون ثمّ يذبح الموت ثمّ يقال يا اهل الجنّة خلود فلاموت ابداً، ويا اهل النّار خلود فلاموت ابداً.

اعلم، انّ الانسان من اوّل استقرار مادّته فى الرّحم فى الخلع واللّبس، وفى التّرك والاخذ، وفى البيع والشّراء، وفى الموت والحيوة، وفى النّشر والحساب.

وهذه الحال مستمرّة له الى انقضاء الحيوة الدّنيا وبعد انقضاء الحيوة الدّنيا ان كان من اهل البرزخ كان عليه هذه الحالة الى انقضاء البرزخ والوصول الى الاعراف.

وبعد الوصول الى الاعراف والحكم على اهل النّار بدخول النّار وعلى اهل الجنّة بدخول الجنّة يتمّ تلك الاحوال وينقضى ذلك الاستبدال وينقطع الموت وهذا معنى قضاء الامر وذبح الموت.

﴿وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾ حال من جملة انذرهم ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ﴾ جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ ولذلك اكّده استحساناً كأنّه قيل: اذا قضى الامر من كان فى الدّنيا ومن كان مالكاً فيها؟ ـ قال تعالى: انّا نرث الارض يعنى ينقضى الانانيّات

ولايبقى حين قضاء الامر لاحدٍ مالكيّة وانانيّة.

ويظهر انّ الارض والانانيّات الّتى تكون مصدراً للمالكيّة كانت كلّها لله ﴿وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ فانّ من عليها عبارة عن الانانيّات الّتى يترائى انّها غير الله ﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ يعنى انّ الاملاك والملاّك الّذين هم عبارة عن الانانيّات تخلّف عنهم ونحن نرثها وذواتهم من دون املاكهم وانانيّاتهم ترجع الينا بالحشر الى مظاهرالقهر او مظاهر اللّطف.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ فانّ ذكر الاخيار وذكر احوالهم وسيرهم وسماعها واستماعها مؤثّرة فى النّفوس وجاذبة لها الى جهة العلو، كما انّ ذكر الاشرار وذكر احوالهم وسيرهم زاجرة للنّفوس الخيّرة.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا﴾ تعليل لسابقه، والصّدّيق مبالغة فى الصّادق وهو الّذى يصير صادقاً فى اقواله وافعاله وعلومه واحواله ونيّاته واخلاقه بحيث يؤثّر صدقه فى مجاوره فيصير سبباً لصدقه، وصدق المذكورات بان تكون مطابقة لماينبغى ان يكون الانسان عليه، ولازم هذا ان يصير صاحبه نبيّاً .

ولذلك قال صدّيقاً ﴿نَّبِيًّا﴾ اعمّ من الرّسول ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ اذ تعليل لسابقه او اسم خالصٌ بدل من ابراهيم عليه السلام بدل الاشتمال، او ظرف لكان او لصدّيقاً او نبيّاً وقدسبق ذكر الاختلاف فى كونه اباه

او جدّه لامّه او عمّه.

﴿يَـٰٓأَبَتِ﴾ تلحق التّاء بالاب مضافة الى الياء للاستعطاف او للتّعطّف .

ولذلك كرّر لفظ يا ابت ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ﴾ استفهام انكاريّ والتّعليق على الموصول للاشعار بعلّة الانكار ﴿وَلَا يُبْصِرُ﴾ فانّ غير السّميع البصير لايتأتّى منه مايطلب من المعبود ﴿وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾ شيئاً قائم مقام المصدر اى لايغنى عنك اغناء و لايقوم مقامك قياماً ما.

او هو مفعولٌ به للايغنى اى لايغنى عن حركتك شيئاً من الجلب والدّفع بان يجلب نفعاً او يدفع ضرّاً بدون الاحتياج الى حركتك وتسبيبك فيه ﴿يَـٰٓأَبَتِ﴾ تكرار النّداء والمنادى للتّعطّف او الاستعطاف كماذكر سابقاً.

﴿إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ من العلم حال مقدّم ﴿مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾ واستعمال المجيء للاشارة الى انّ علمه ليس كسبيّاً تحصيليّاً وانّما هو من الله قال ذلك ليكون حجّة على الامر باتّباعه.

ولذلك قال ﴿فَاتَّبِعْنِىٓ﴾ بفاء الجزاء ﴿أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا﴾ مستوى الطّرفين او كناية عن المستقيم.

﴿يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيًّا ۝ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ

﴿ٱلرَّحْمَـٰنِ﴾ لكون العذاب والرّحمة الرّحيميّة صورتى الرّحمة الرّحمانيّة نسب العذاب الى الرّحمن ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيًّا﴾ موالياً او قريناً.

﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ اتى بألفاظٍ غليظةٍ فى مقابلة استعطافه اشعاراً بغضبه وتغيّره عن ارشاده ثمّ هدّده فقال: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ﴾ عمّا انت عليه من ازدراء الآلهة والرّغبة عنها او من ادّعاء الارشاد والهداية ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ بالشّتم والعيب، او لارجمنّك بالحجارة، او هو كناية عن القتل فاحذرنى ﴿وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا﴾ برهة من الزّمان او ساعة طويلة.

﴿قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ﴾ قابل اساءته فى اللّفظ بالاحسان فيه وودّعه بعد ماامره بالهجرة ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ﴾ قابل تهديده بالرّجم بالاستغفار من الله وطلب التّوفيق له.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ حال ممّا تدعون و سرّ التّقييد بذلك الاحتراز عن دعاء الخلفاء فانّهم ليسوا من دون الله بل من الله ودعاؤهم ايضاً من الله ﴿وَأَدْعُواْ رَبِّى﴾ والدّعاء ههنا كناية عن العبادة.

﴿عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا﴾ خائباً ضائع السّعى مثلكم فى دعاء آلهتكم وصدّر الحكم بعسى للتّواضع وهضم النّفس ولانّ الاجابة والاثابة بيد الله وليس الاّ محض التّفضّل وليس

للعباد الاّ الرّجاء فانّ الخاتمة غيب، ومعايب العمل مخفيّة، والثّبات على حال العبادة الى آخر العمر غير معلوم.

﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّـهِ﴾ بالهجرة الباطنيّة عن مقام النّفس الّتى هى كانت موافقةً لهم او بالهجرة الى الشّام.

﴿وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ بدل من فارقهم لم‌يذكر اسماعيل عليه السلام لتشريفه بذكره فيما بعد مستقلاًّ، او لانّ تشريف ابراهيم عليه السلام فى انظارهم كان باسحاق ويعقوب عليهما السلام .

لانّ انبياء عليهم السلام بنى‌اسرائيل كانوا منهما ﴿وَكُلاًّ﴾ منهما ﴿جَعَلْنَا نَبِيًّا ۝ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ مايمكن ان يوهب للانسان او من رحمتنا بنفسه مفعول لكون من التّبعيضيّه اسماً او قائماً مقام المفعول الموصوف لقوّة معنى البعضيّة فيه.

او المفعول محذوف اى وهبنا لهم من رحمتنا محمّداً صلى الله عليه وآله، حذفه لظهوره فى المقام او لادّعاء ظهوره.

﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ لسان الصّدق عبارة عن الثّناء الجميل على لسان الخلق، والمراد بالعلىّ الثّناء البالغ المرتفع، او المراد بالعلىّ علىّ بن ابى‌طالب عليه السلام فانّه كان لسان صدقٍ له فى الآخرين لم‌يكن لسان صدق اشرف منه.

والتّعبير باللّسان عن الثّناء لكونه صادراً منه وجارياً عليه، نسب الى علىّ عليه السلام انّه قال: لسان الصّدق للمرء يجعله الله فى النّاس

خير من المال يأكله ويورّثه.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلِصًا﴾ قرئ بكسر اللاّم و فتحها يعنى انّه اخلص عبادته عن الاشراك، او اخلصه الله لعبادته او لنفسه ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ تكرار كان للاشارة الى انّ كلاًّ شرف له بنفسه والمراد بالنّبىّ الرّفعة او النّبوّة و كان تأكيداً للرّسول فانّ الرّسول متضمّن للنّبوّة ومستلزم للرّفعة .

وقدسبق الفرق بين الرّسول والنّبىّ والامام والمحدّث عند قوله واثمها اكبر من نفعهما من سورة البقرة، وذكر هناك معنى حديث انّ الرّسول يسمع الصّوت ويرى فى المنام ويعاين الملك فى اليقظة، والنّبىّ هو الّذى يرى فى المنام ويسمع الصّوت ولايعاين الملك، والمحدّث هو الّذى لايرى ولايعاين ويسمع الصّوت.

﴿وَنَـٰدَيْنَـٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ وصف للجانب فانّ المراد بحسب التّأويل من الطّور هو الصّدر المنشرح بالاسلام، وجانبه الايمن هو الجهة الّتى تلى العقل والغيب ﴿وَقَرَّبْنَـٰهُ نَجِيًّا﴾ حال عن الفاعل او المفعول او كليهما فانّ النّجىّ مصدر ووصف مطلق على المفرد والاكثر من المفرد ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ﴾ وهذا تشريف له ﴿أَخَاهُ هَـٰرُونَ﴾ لمعاضدته وموازرته ولاجابة دعوته من قوله واجعل لى وزيراً من اهلى هارون اخى ﴿نَبِيًّا﴾ حالكونه نبيّاً بالاستقلال او مشاركاً للنّبىّ لا انّه كان نبيّاً بالاستقلال وكان هارون

اسنّ من موسى عليه السلام، ورد انّ موسى عليه السلام عاش مائة وستّة وعشرين سنة، وعاش هارون مائة وثلاثةوثلاثين سنة.

في قصّة اسمعيل عليه السلام و صدق وعده

﴿وَ ٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَـٰبِ إِسْمَـٰعِيلَ﴾ بن ابراهيم عليه السلام ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ لانّه كما فى الخبر وعد رجلاً وانتظره سنةً لانّ الرّجل نسى.

ونقل انّه انتظره ثلاثة ايّامٍ وقيل: انّ اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام مات قبل ابراهيم عليه السلام وهذا اسماعيل بن حزقيل بعثه الله الى قومه فأخذوه فسلخوا فرقة رأسه ووجهه فأتاه ملك قال: انّ الله جلّ جلاله بعثنى اليك فمرنى بما شئت فقال: لى اسوة بالانبياء عليهم السلام او بالحسين بن على عليه السلام ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ قدمضى فى اوّل البقرة تحقيق الصّلوة والزّكوة و لمّا كان الاهتمام بامر من كان تحت اليد امراً مهتمّاً به مرغوباً فيه مندوباً شرّفه بذكر هذه الخصلة ولشرافة هذه الخصلة عقّبه بقوله: ﴿وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾ كأنّه قال ولذلك كان عند ربّه مرضيّاً.

في قصّة ادريس و نبوّته و صدقه

﴿وَ ٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَـٰبِ إِدْرِيسَ﴾ اسمه اخنوخ فى التّوراة وكان سبط شيثٍ عليه السلام وجدّ ابى نوحٍ عليه السلام وكان اوّل من خاط اللّباس و ألهمه الله تعالى علم الحساب والهيئة والنّجوم، وقيل: سمّى ادريس لكثرة دراسته ولعلّه كان فى لغتهم بهذا المعنى و الاّ فان كان عربيّاً

مشتقّاً من الدّرس كان منصرفاً.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝ وَرَفَعْنَـٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ بحسب الرّتبة او بحسب المكان كما ورد انّ الله تعالى رفعه حيّاً الى السّماء الرّابعة او السّادسة وهو حيّ او قبض روحه فى السّماء الرّابعة.

﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ﴾ الّذين تقدّم ذكرهم ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ بالولاية واستتبع الولاية النّبوّة والرّسالة وسائر النّعم بها تصير نعمة فانّ النّعمة حقيقةً هى الولاية وكلّما اتّصل بالولاية سواء كان بسبب البيعة الولويّة او بطلب تلك البيعة كان نعمةً، وما لم‌يتّصل سواء كان من النّعم الصّوريّة الدّنيويّة.

او من النّعم الصّدريّة الاخرويّة من الاذواق والوجدانات ومن العلوم والمشاهدات والمعاينات الصّوريّة كان نقمةً الاّ اذا اتّصلت بالولاية فانقلبت نعمةً، فأصل النّعم هو الولاية وفرعها هو هى ايضاً؛ انّ ذكر الخير كنتم بولايتكم اصله وفرعه ومعدنه ومنتهاه، واولئك مبتدء والجملة جواب لسؤالٍ مقدّرٍ و خبره الّذين أنعم الله او هو صفته او مبتدءٌ ثانٍ.

و قوله تعالى ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ خبر او حال وقوله تعالى ﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾ خبر او هو حال او بدل، و قوله تعالى اذا يتلى عليهم(الى آخرخبره) و من فى قوله تعالى: من النّبيّين بيانيّة او تبعيضيّة، و هكذا من فى قوله من ذريّة آدم تبعيضيّة او بيانيّة.

﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ عطف على من ذرّيّة آدم والمقصود من ذرّيّة من حملنا لكنّه اسقط الذّرّيّة ههنا تشريفاً لهم لانّه يشعر بانّ المحمول مع نوحٍ عليه السلام لميكن منظوراً اليه بنفسه فى الحمل بل كان المنظور اليه فى الحمل هو تلك الذّرّيّة فكأنّه لميكن المحمول محمولاً لانّه لميكن منظوراً اليه و كان المنظور اليه من الذّرّيّة محمولاً.

﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ﴾ و كلّ هذه من قبيل عطف الخاصّ على العامّ لتشريف الخاصّ بالاختصاص بكثرة الانساب الشّريفة فانّ الكلّ كانوا من ذرّيّة آدم عليه السلام واختصّ عنهم بهذه النّسبة ادريس عليه السلام وبعد ادريس كان الكلّ من ذرّيّة المحمولين مع نوحٍ وامتاز عنهم بهذه النّسبة ابراهيم عليه السلام وبعد ابراهيم كان الكلّ من ذرّيّة ابراهيم عليه السلام.

فانّ اسحاق عليه السلام واسرائيل وموسى وهارون واسماعيل وزكريّا ويحيى وعيسى عليه السلام كانوا من ذرّيّة ابراهيم عليه السلام واسرائيل وامتاز عنهم بالاختصاص بابراهيم عليه السلام اسحاق واسماعيل عليه السلام.

واذا كان المراد بقوله تعالى وهبنا لهم من رحمتنا محمّداً صلی الله علیه وآله وكان المراد بقوله لسان صدقٍ عليّاً محمّداً صلی الله علیه وآله وعليّاً عليه السلام كما اشير اليه فى الخبر كانا ايضاً ممتازين بالاختصاص بابراهيم عليه السلام ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا﴾ عطف على من النّبيّين او على من ذرّيّة آدم ولفظ من

للتّبعيض او للتّبيين والتّقدير من ذرّيّة من هدينا واسقاط الذّرّيّة لماذكر فى ممّن حملنا او ليست الذّرّيّة مقدّرة.

﴿وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ﴾ قرئ بالتّاء وبالياء وهو خبرٌ كما سبق او حال او مستأنف لبيان حالهم وانّهم مع علوّ نسبهم وشرف النّبوّة والرّسالة لهم كمال التّضرّع والالتجاء الى الله، او ممّن هدينا قائم مقام المبتدأ، وذا تتلى خبر عنه يعنى بعض ممّن هدينا واجتبينا اذا تتلى ﴿عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُ ٱلرَّحْمَـٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا﴾ لكمال خضوعهم لله وتواضعهم لآياته ﴿وَبُكِيًّا﴾ لكمال خوفهم من الله ولالتجائهم اليه وقرئ بكيّاً بضمّ الباء على الاصل، وبكسرها على الاتّباع.

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ الخلف بالسّكون يقال للعقب السّوء وبالتّحريك للحسن، ويستعمل كلٌّ فى كلٍّ ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بتركها او تأخيرها عن مواقيتها كما اشير اليه فى الخبر ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ قيل فى بيان اتّباع الشّهوات كانوا شرّا بين اللقهوات، ركّابين للشّهوات، متّبعين للّذّات، تاركين للجماعات.

و عن اميرالمؤمنين عليه السلام فى بيانه من بنى الشّديد[1] و ركب المنظور وليس المشهور.

اعلم، انّ الصّلوة والزّكوة كما حقّق فى اوّل الكتاب فى اوّل

---

١. اى البناء المحكم وركب ماينظر اليه النّاس لحسنه وليس مايشتهر يا لحسن وهذا معنى لباس الشّهرة.

سورة البقرة عبارة عن اللّبس والخلع، وهما ثابتان للانسان من اوّل استقرار نطفته فى الرّحم الى آخر عمره.

لكنّ الخلع واللّبس الى مقام التّكليف والقرب له يكونان بالتّكوين الآلهىّ وعلى الطّريق الانسانىّ وفى مقام التّكليف اذاكانا بالامر الآلهىّ كانافى الطّريق الانسانىّ.

و اذا لم‌يكونا بالامر الآلهى لم‌يكونا فى الطّريق الانسانىّ بل كانا فى الطّريق النّفسانىّ وبمداخلة الشّهوات النّفسانيّة وكلّ فعل او قول او حال له جهة آلهيّة وجهة نفسانيّة بمعنى انّه ان كان بمحض الامر الآلهىّ حصل منه فعليّة آلهيّة ولبس فى الطّريق الانسانيّة و حمل طرح لفعليّة نفسانيّة بواسطة طرح انانيّة من النّفس، و الفعليّة الآلهيّة يعنى اللبّس فى الطّريق الانسانيّة هى الصّلوة حقيقة وطرح اقتضاء النّفس وانانيّتها هى الزّكوة حقيقة.

فعلى هذا كان اضاعة الصّلوة عبارة عن الغفلة عن الامر الآلهىّ فى الفعل، اىّ فعل كان، واتّباع الشّهوات عبارة عن لحاظ اقتضاء النّفس فى الفعل، اىّ فعلٍ كان، فانّ المصلّى اذا كان صلوته صادرة من اقتضاء نفسه سواء كان ذلك الاقتضاء امضاء عادةٍ كما هو حال اكثر النّاس او مراياةً او اعجاباً او جلب نفعٍ فى الدّنيا او دفع ضرٍّ فيها او دخول الجنّة، او عدم دخول النّار، او قربة من الله، او كونه مرضيّاً من الله كان مضيعاً للصّلوة، ومتّبعاً للشّهوة؛ وان كان

فاعلاً لصورة الصّلوة، واذاكان القاضى لشهوته من حلاله ناظراً الى امر ربّه واباحته كان مصليّاً، وان كان قاضياً لشهوته .

فالمقصود من الصّلوة، هو جهة الافعال لاصورة الاعمال، و هكذا الحال فى اتّباع الشّهوات، وحديث علىٍّ عليه السلام فى بيان اتّباع الشّهوات يشعر بذلك ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ فى الآخرة بناءً على تجسّم الاعمال، او جزاء غىٍّ، او المراد بالغىّ الشّرّ والخيبة، او الغىّ وادٍ فى جهنّم.

﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ عن اتّباع الشّهوات فى الافعال ﴿وَءَامَنَ﴾ بالبيعة العامّة او الخاصّة، او اذ عن انّ الاعمال لها جهة آلهيّة وجهة نفسانيّة ﴿وَعَمِلَ صَـٰلِحًا﴾ طبق مااخذ عليه فى بيعته او عمل صالحاً يعنى بالامر الآلهىّ حتّى يصير صالحاً، واقامة للصّلوة لااضاعةً او اتّباعاً للشّهوات.

﴿فَأُولَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾ قرئ بضمّ الياء وفتح الخاء وبفتح الياء وضمّ الخاء ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ بنقص شيءٍ من ثواب اعمالهم ﴿جَنَّـٰتِ عَدْنٍ﴾ بدلٌ من الجنّة ولامنع فى ابدال الجمع عن المفرد اذاكان المفرد فى معنى الجمع، او منصوب بفعلٍ محذوفٍ مقطوع عن التّبعيّة للمدح، والجنّات طبقات وكلّ طبقةٍ منهما جنّات، وجنّة عدن آخرة الجنّات الّتى لاتجاوز عنها لمن وصل اليها؛ ولذلك سمّيت بجنّة عدنٍ فانّ العدن بمعنى الاقامة

بخلاف سائر الجنّات فانّها ليست محلّ اقامة لكلّ من وصل اليها.

﴿ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ عِبَادَهُۥ بِالْغَيْبِ﴾ حالكون الجنّات بالغيب، او حالكون الرّحمن بالغيب، او حالكون العباد بالغيب من الله بمعنى كون الله غائباً عنهم ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾ جواب سؤالٍ ناشٍ من قوله فاولئك يدخلون الجنّة او من قوله وعد الرّحمن عباده ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ حال او مستأنف ﴿إِلَّا سَلَـٰمًا﴾ استثناء من اللّغو مبالغة فى عدم اللّغو فيها يعنى لغو الجنّات هو السّلام من قبيل قول الشّاعر:

ولاعيب فيهم غير انّ سيوفهم   بهنّ فلولٌ من قراع الكتائب

او الاستثناء منقطع ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ﴾ الّلائق بحالهم ومقامهم ﴿فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾.

بيان لتعدّد الافلاك والشّموس والاقمار

اعلم، انّ الشّمس الحقيقيّة الّتى هى حقيقة شمس عالم الطّبع تنزّلت عن مقام غيبها بفعل البارى تعالى، ثمّ تنزّلت وظهرت بالعقول بمراتبها، ثمّ ظهرت بالنّفوس بمراتبها، ثمّ ظهرت فى عالم الطّبع بصورة هذه الشّمس المحسوسة.

وكما انّ هذه الشّمس المحسوسة حركتها فى عالمها دوريّة، وعالمها كرويّة، وبكرويّة عالمها ودوريّة حركتها يظهر البكرة

والعشيّ كذلك الشّمس الحقيقيّة حركتها فى كلّ من عوالمها الّتى حدّدوها تارةً بسبعين الف عالمٍ.

وتارة بالف الف عالمٍ دوريّة، وكلٌّ من عوالمها كرويّة لكنّ كرويّته معنويّة لامحسوسة فانّ كلاًّ مشتمل على قوسى النّزول والصّعود، وبعد وصول النّور الحقيقىّ الى اواسط قوس النّزول يختفى وتدريجاً الى اواسط قوس الصّعود وحينئذٍ يظهر تدريجاً وحين شروعه فى الاختفاء يكون العشىّ بحسب ذلك العالم وحين الشّروع فى الظّهور يكون البكرة بحسبه، ولااختصاص للبكرة والعشيّ بعالم الطّبع ولابجنّات الدّنيا كما قيل.

و قدورد فى الاخبار الاشعار بتعدّد الافلاك والشّموس والاقمار كما ورد انّ وراء عين شمسكم هذه تسعاً وثلاثين عين شمسٍ، ووراء قمركم هذا تسعة وثلاثين قمراً.

و قيل بالفارسيّة:

آسمانهاست در ولايت جان

كارفرماى آسمان جهان

﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾.

لمن نورث الجنّة من العباد

اعلم، انّ الانسان الكامل ذونشأآت وفى كلّ نشأةٍ له اموالٌ واقرباء وكما انّ صحّة النّسب الجسمانيّة مبتنيةٌ على ماأسّسه الشّارعون فى كلّ شريعةٍ وملّةٍ لتصحيحها كذلك النّسبة الرّوحانيّة

مبتنيةٌ صحّتها على ماأسّسوه من عقد الايمان.

و كما انّ النّسبة لجسمانيّة اذا لم‌تكن مبتنيةً على ماأسّسوه لم‌تكن مؤثّرة فى ترتّب آثار النّسبة من الميراث و غيرها كذلك النّسب الرّوحانيّة اذا لم‌تكن مبتنيةً على ماأسّسوه لم‌تكن مؤثّرةً.

وكما انّ المنتسب بالنّسبة الجسمانيّة اذا لم‌يكن له مايصحّح نسبته كان لغيّة كذلك المنتسب بالنّسبة الرّوحانيّة اذا لم‌يكن له مايصحّح نسبته كان منتحلاً.

وقدمضى تحقيق تامّ للنّسبة الجسمانيّة والرّوحانيّة والفرق بينهما وشرافة النّسبة الرّوحانيّة بالنّسبة الى الجسمانيّة فى سورة البقرة عند قوله: وبالوالدين احساناً .

و كما انّ الانسان مادام يكون فى عالم الطّبع كان له اموال واذا انصرف من هذا العالم كان الاحقّ بأمواله قراباته بحقّ النّسبة الجسمانيّة كذلك المتخلّف عن الكامل فى العوالم الرّوحانيّة كان الاحقّ به قراباته الرّوحانية.

و كما انّ المتخلّف عن مرتبته الجسمانيّة لاحقّ لقراباته الرّوحانيّة فيه كذلك المتخلّف عن مرتبته الرّوحانيّة لاحقّ لقراباته الجسمانيّة فيه فانّ كلّ خلّةٍ وكلّ نسبةٍ منقطعة يوم القيامة الاّ الخلّة والنّسبة فى الله.

ولمّا كان اصل الكاملين وابوالآباء الرّوحانيّة علىّ بن

ابی‌طالب عليه السلام وكان منصرفاً عن جميع العوالم ومـتمكّناً فـی مـقام المشيّة الّتی هی فوق الامكان كان جميع عوالم الامكان متخلّفة عنه وميراثاً لاولاده المنتسبين اليه بالنّسبة الصّحيحة بقدر مراتبهم فی النّسبة، و ان كانوا فی الدّنيا مغصوباً منهم امواله كما قال تعالی: قل هی للّذين آمنوا بالايمان الخاصّ وعقد الايمان مع علیّ عليه السلام مغصوباً عليها فی الدّنيا خالصة يوم القيامة و هذا معنی ايراث الفردوس.

و امّا ايراث منازل اهل النّار للمؤمنين فهو عبارة عن ايراث ماكان اهل النّار يستحقّونه لو لم‌يقطعوا نسبتهم الی علیٍّ عليه السلام فانّ كلّ الموجودات لها نسبة فطريّة الی علیّ عليه السلام وقديقطع الانسان نسبته الفطريّة الی الولاية فيترك منازله وامواله الّـتی كـانت مـقرّرة له بحكم الولاية التّكوينيّة فيرثها ذووانسابه الآخرون مـثل الجـنين الّذی يترك من اموال الميّت قسط له فان تولّد حيّاً وبلغ اخذ قسطه وان ولد ميّتاً او لم‌يبلغ كان قسطه لسائر الورثة بحكم النّسبة .

اذا عرفت ذلك، فلاحاجة لك الی التّكلّفات الّتی ارتكـبوها فی تصحيح اطلاق الارث علی ماذكر، ومن عبادنا ظرف لغو متعلّق بنورث والمعنی نورث الجنّة من مال عبادنا المخصوصين الّـذين خرجوا من رقّيّة انفسهم وصـاروا بـتمام وجـودهم خـالصين لنـا فصاروا كاملين ومكمّلين ومالكين بتمليكنا درجات الآخرة.

وبعد ماتخلّفت منهم بتوجّههم ونقلهم الی مافوقهم اورثـنا

تلك الدّرجات منهم عباداً كانوا اتقياء بان دخلوا فى الولاية فانّ التّقوى الحقيقيّة لاتتصوّر الاّ بالدّخول فى الولاية او من عبادنا ظرف مستقرّ حال ممّن كان تقيّاً والمعنى حينئذٍ نورث الجنّات من كان تقيّاً حالكونه صار من عبادنا بان اشترى الله منه ماله ونفسه بانّ له الجنّة، و فائدة التّقييد بالحال الاشعار بانّ التّقوى الحقيقيّة لاتحصل الاّ بالبيعة الولويّة او النّبويّة.

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ كلام من الملك الحاكى من الله تعالى معطوف على المحكىّ من الله فقد ورد انّ رسول‌الله صلّی الله علیه وآله قال لجبرئيل علیه السلام: مامنعك ان تزورنا؟

فنزلت ﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ اى الدّنيا او عوالم الآخرة ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾ يعلم بالمقايسة ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ اى العالم الّذى نحن واقعون فيه ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ تاركاً لك ترك المنسىّ، او ماكان موصوفاً بالنّسيان حتّى يتوهّم انّه غفل عنك، وفيه اشعار بانّ سرعة نزوله و بطوءه انّما هو منوطٌ بحكمه.

﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ وصف لربّك او خبر مبتدءٍ محذوفٍ وتعليل لامتناع النّسيان عليه ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ لمّا كان الصّبر على العبادة اصعب اقسام الصّبر اتى فيه بصيغة المبالغة.

﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ خطاب خاصّ بمحمّدٍ صلّی الله علیه وآله او عامّ لمن

يتأتّى منه الخطاب، والمراد بالسّميّ المماثل فى شيءٍ من صفاته لاالمسمّى بشيءٍ من أسمائه.

﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ اى هذا النّوع من الحيوان وان كان القائل بعض افراده ﴿أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾.

اعلم، انّ الانسان مادام يكون محصوراً ادراكه على المحسوسات ولايدرك من نفسه الاّ مقام جسميّته كان اقراره ببعثه تقليداً محضاً من غير تصوّر لنفسه وموته وبعثه وكان انكاره تحقيقاً لاتقليداً.

فانّ النّاظر الى البدن والى انّ النّفس جسم لطيف متكيّف سارٍ فى البدن كسائر اجزاء البدن او كيفيّة خاصّة فى البدن، وانّ البدن بالموت يفنى كيفيّة حيوته وجميع اجزائه، خصوصاً ان كان بصيراً بالطّبيعيّات وكيفيّاتها لايتأتّى له الاقرار بالبعث بعد الموت والاعادة بعد الفناء.

و روى انّ ابيّ بن خلفٍ اخذ عظاماً باليةً ففتّها وقال: يزعم محمّد ﷺ انّا نبعث بعد مانموت ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ﴾ اى قبل وجوده او قبل موته ﴿وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ لافى العوالم العالية و لافى العالم الدّانى بان خلقناه فى عوالم علمنا حين لميكن مقدّراً ولاموجوداً طبيعيّاً، او لميك شيئاً فى العالم الطّبيعيّ ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾ الموكّلة عليهم،

لمّا كان الكلام ملقىً على المنكر اكّده بتأكيداتٍ.

وروى انّ الكفرة تحشرون مع قرنائهم من الشّياطين الّذين اغو وهم كلّ مع شيطانه.

اعلم، انّ الانسان الّذى هو عالم صغير اذا هبط آدمعليه السلام و حوّاءعليها السلام من الجنّة فيه و توالدا و أتى لواحدٍ من ولديهما بحوريّةٍ وللآخر بجنّيّة و توالدوا فى العالم الصّغير كان ماتولّد من الحوريّة سنخاً للملائكة وبتلك السّنخيّة يجذب الملك، وماتولّد من الجنّيّة كان سنخاً للجنّة والشّياطين، وبتلك السّنخيّة يجذب الشّيطان الى عالمه الصّغير من العالم الكبير.

وماورد انّ لكلّ انسانٍ ملكاً يزجره وشيطاناً يغويه اشارة الى ماذكر، ولكلّ من الملك والشّيطان المجذوبين اليه جنود واعوان فيصير الملك الموكّل مع جنوده ملائكةً كثيرةً والشّيطان المنجذب شياطين عديدةً .

واذا حشر الانسان حشر معه كلّ شيطانٍ كان معه، او المعنى لنحشرنّهم والشّياطين من غير نظر الى الشّياطين الموكّلة بخصوصهم ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ ضمير المفعول فى لنحضرنّهم وفى نحشرنّهم راجع الى مطلق البشر المؤمنين والكافرين، وحضور المؤمنين حول جهنّم مثل ورودهم عليها، او راجع الى الكافرين، والجثىّ جمع الجاثى اصله جثو، وقرئ بضمّ الجيم وكسرها.

﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾ طائفةٍ شاعت نـبيّاً او امـاماً فـى الهداية او اماماً فى الضّلالة ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ عِتِيًّا ﴾ اصله عتوّ مصدر عتى عتّواً وعتيّاً بضمّ العين وعتيّاً بكسرها استكبر وجـاوز الحـدّ والمعنى لننزعنّ من كلّ فرقةٍ مؤمنة وكافرة اعتاهم، ونفعوا من غير اعتاهم.

او لننزعنّ من كلّ فرقة اعتاهم فندخلهم فى اسفل الجحيم ثمّ لننزعنّ العاتين منهم فندخلهم المداخل المترتّبة من الجحيم عـلى ترتيب عتوّهم حتّى يبقى المؤمنون.

وايّ موصولة مبنيّة على الضّمّ على قراءة ضمّ الياء لحذف صدر صلتها ومنصوبة مفعول لننزعنّ على قراءة فتح الياء.

او استفهاميّة مبتدء وخبر والجملة حاليّة بتقدير القـول، او مسـتأنفة بتقدير القول جواب لسؤالٍ مقدّرٍ ومفعول لننزعنّ محذوف، او من كـلّ فـرقه مفعوله لكون من، اسماً، او لكون الظّرف قائماً مقام المـوصوف لقـوّة مـعنى البعضيّة فى من.

﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴾ مـصدر مثل العتّى مـن صـلى النّـار كـرضى قـاساها ﴿وَإِن مِّـنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾.

اعلم، انَّ دركات الجحيم واقعة فى الآخرة ولايدخلها الاّ من خرج عن الدّنيا وعن عقبات البرزخ ووصل الى الاعـراف وبـقى عليه فعليّة مناسبة للنّار، وامّا قبل ذلك فلايدخل احد النّار وكانت

ابواب الجحيم مغلقة ولذلك يقال: حينئذٍ ادخلوا ابواب الجحيم.

و قال تعالى: حتّى اذا جاؤها فتحت ابوابها فرتّب فتح الابواب على مجيء اهلها لانّها كانت مغلقةً قبل المجيء واهل الجنّة بعد الوصول الى الاعراف لايبقى عليهم الاّ فعليّة مناسبة للجنّة فلايدخلون النّار لكن نقول: الدّنيا انموذجة من الجحيم والاخلاق الذّميمة والاوصاف الرّديّة كلّها انموذجة منهما، ومشتهيات النّفس والآلام والاسقام من فوران الجحيم.

والبرزخ بوجهٍ هو جحيم الدّنيا كما انّه بوجهٍ هو جنّة الدّنيا، والواردون على الاعراف كلّهم واردون على الجحيم بمعنى انّهم مشاهدون لها وكلّ النّاس مؤمنهم وكافرهم لابدّلهم من العبور على الدّنيا والاتّصاف بمشتهياتها والعبور عن الرّذائل والاوصاف الرّديّة ومشهيات النّفس .

و قلّما ينفكّ الانسان عن علّةٍ ما اوالمٍ ما، ولابدّ للكلّ من العبور على البرزخ اختياراً او اضطراراً لكنّ العبور يتفاوت بتفاوت الاشخاص والاحوال والكلّ واردون على الاعراف وواردون على جحيم الآخرة بمعنى انّهم مشاهدون لها، اذا عرفت ذلك، عرفت وجه الجمع بين الاخبار المتخالفة الواردة فى هذا الباب.

و عرفت انّ المراد بالنّسخ فيما ورد انّ هذا الآية منسوخة بآية انّ الّذين سبقت لهم منّا الحسنى اولئك عنها مبعدون هو النّسخ

الجزئىّ الّذى يكون بحسب الاشخاص والاحوال لاالنّسخ الكلّىّ فانّ هذا الورود منلوازم وجود الانسان وكيفيّة خلقته ولذلك قال تعالى بعدالاخبار به.

﴿كَانَ﴾ ذلك ﴿عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ مؤكّداً بتأكيداتٍ لكنقديعرض الانسان جذبة من جذبات الرّحمن لاتبقى عليه اثراً من الدّنيا و نيرانها و لامن البرازخ وعقباتها، و لامن الاعراف و مشاهداتها فكان الورود المحتوم منسوخاً ومرتفعاً فى حقّه.

وماورد انّ النّار تقول للمؤمن يوم القيامة: جزيا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبى؛ كان اشارة الى الدّنيا ومشتهيات النّفس او الاخلاق الرّذيلة او البرازخ، و كذلك قول المعصوم جزناها وهى خامدة.

﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا﴾ التّدوينيّة مطلقة او فى ولاية علىّ عليه السلام ﴿بَيِّنَـٰتٍ﴾ واضحاتٍ او موضوحاتٍ رسالتك او قدرة الله على الاحياء بعد الاماتة او ولاية علىّ عليه السلام.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالله او برسالتك او بولاية علىّ عليه السلام ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ لاجلهم او مخاطبين لهم استهزاء بالله او بدينك او بعلىٍّ عليه السلام ﴿أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾ ممّن اقرّ بالله او بالرّسالة او بولاية علىٍّ عليه السلام وممّن انكر ذلك ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ مكاناً او موضع قيام،

وقرئ بضمّ الميم ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴾ مجلساً ومجتمعاً يعنى انّهم لمّاسمعوا الآيات الدّالاّت على حقّيّة دينك وقدرة الله او ولاية علىّ عليه السلام وعجزوا عن المعارضة وردّها افتخروا بمالهم من حسن الحال فى الدّنيا وزعموا انّ حسن حالهم انّما هو لحقّيّة انكارهم ورداءة حال المؤمنين لبطلان اقراره كما هو شأن اهل الزّمان فى كلّ زمان، وهذا زعم فاسد.

فانّ حسن الحال وزيادة الحظّ فى الدّنيا مانعة عن حصول حظوظ العقبى ومهلكة فى العقبى كالشّهد الّذى فيه سمّ غير محسوسٍ.

وعن الصّادق عليه السلام انّه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله دعا قريشاً الى ولايتنا فنفروا و انكروا فقال الّذين كفروا من قريشٍ للّذين آمنوا الّذين اقرّوا لأميرالمؤمنين عليه السلام ولنا اهل البيت عليهم السلام ايّ الفريقين خيرٌ مقاماً واحسن نديّاً؛ تعييراً منهم فقال الله تعالى ردّاً عليهم، وقرء الآية الآتية ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَـٰثًا وَرِءْيًا ﴾.

قرئ رِءْياً بكسر الرّاء المهملة وسكون الهمزة وريّاً بكسر الرّاء وتشديد الياء وريّاً بكسر الرّاء وتخفيف الياء وزيّاً بكسر الزّاء المعجمة وتشديد الياء، والكلّ بمعنى المنظر او مايتجمّل به.

﴿قُلْ﴾ لهم ردّاً على زعمهم انّ حسن الحال فى الدّنيا جالبة

لحسن الحال فى الآخرة ﴿مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَـٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَدًّا﴾ اداه بصيغة الامر للاشعار بانّ هذا امر كأنّه واجب على الله لاتخلّف عنه فلاتغترّوا بامداد الله فى الدّنيا واجتماع اسباب التّنعّم لكم فانّه استداراج ومورث للهلاكة ابداً.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ﴾ بالقتل والاسر والنّهب والاجلاء والبلايا الواردة من الله من الاسقام والآلام البدنيّة والنّفسانيّة.

﴿وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ ساعة الموت وعذابها ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ فانّه وقت العذاب لاينفع مال ولابنون، و لايدفع جند ولاالاقربون، ووقت الموت ينقطع كلّ موصول ولايدفع كلّ دافع ولاينفع الاّ الله، فمن انقطع عن الكلّ واتّصل بالله بالبيعة الولويّة مع خلفائه كان حينئذٍ احسن نديّاً فانّ مجتمعه كان من جند الله، ومن لاينقطع عن الغير و لايتّصل بالله بالبيعة مع علىّ عليه السلام كان اردء نديّاً لانقطاع كلّ ممّن كان فى مجتمعه عنه وعن مجتمعه.

﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾ عطف على من كان فى الضّلالة فليمدد وتغيير الجملة الثّانية بالفعليّة للاشعار بانّ الامداد والاستدراج عرضىّ تابع لاستعداد العباد وافعالهم بخلاف فضل الهداية.

فانّه فضل محض وذاتىّ له تعالى وليس تابعاً لفعلٍ واستعدادٍ وقدتكرّر سابقاً انّ الهداية ليست الاّ ولاية علىٍّ عليه السلام والتّوجّه اليه.

عن الصّادق عليه السلام انّه قال: كلّهم كانوا فى الضّلالة لايؤمنون بولاية اميرالمؤمنين عليه السلام و لابولايتنا فكانوا ضالّين مضلّين فيمدّلهم فى ضلالتهم و طغيانهم حتّى يموتوا فيصيّرهم الله شرّاً مكاناً واضعف جنداً ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾.

و قدسبق بيان الباقيات الصّالحات فى سورة الكهف ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ ممّا متّعوا به من الاثاث و الرّأى ﴿وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ مرجعاً ممّا توهّموه من الاموال والاولاد.

وصيغة التّفضيل ههنا لمجرّد التفضيل او للتّفضيل على مازعموه خيراً باعتقادهم ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ واعظمها علىّ عليه السلام ﴿وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ يعنى فى الآخرة.

ورد انّه كان لبعض المؤمنين دين على بعضهم فجاءه يتقاضاه فقال: الستم تزعمون انّ فى الجنّة الذّهب والفضّة والحرير؟

قال: بلى، قال: فموعد مابينى وبينك الجنّة فو الله لاوتينّ فيها خيراً ممّا اوتيت فى الدّنيا ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾ فرأى فى الغيب انّ له فى الآخرة مالاً و ولداً ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ فانّه لايعلم ذلك الاّ بالمشاهدة والتّحقيق.

او بتعهّد الصّادق والتّقليد وعلم الغيب منتفٍ عنه والعهد

ليس الاّ بالبيعة مع عليّ عليه السلام وهو ينكر ذلك.

﴿كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ لنجزيه عليه فانّه افتراء واستهزاء ﴿وَ نَمُدُّ لَهُۥ﴾ عوض ماتصوّره من المال والولد ﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا وَ نَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ﴾ يعنى المال والولد الّذى يدّعى انّه يؤتى فى الآخرة منهما بان نهلكه ونأخذ ما كان له فى الدّنيا من المال والولد ﴿وَ يَأْتِينَا﴾ يوم القيامة ﴿فَرْداً﴾ ممّا له فى الدّنيا فلايكون له ماكان له فى الدّنيا ولايحصل له مايدّعيه فى الآخرة.

﴿وَ ٱتَّخَذُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً﴾ عطف على قال لاوتينّ او على كفر بآياتنا، وجمع ضميره باعتبار المعنى فانّ المراد من الّذى كفر هو الجنس لاالفرد المخصوص.

﴿لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ اى ليكون الآلهة للّذين كفروا سبب عزٍّ.

فانّ العزّ والعزّة بكسرهما والعزازة بالفتح مصدر عزّ بمعنى صار عزيزاً، او ليكون الكفّار لاجل الآلهة اعزّاء.

﴿كَلَّا﴾ ردع لهم عن هذا الزّعم ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾ اى الالهة او الكفّار ﴿بِعِبَادَتِهِمْ﴾ والضّمير المضاف اليه يحتمل الوجهين على كلّ من الوجهين ﴿وَ يَكُونُونَ﴾ اى الآلهة او الكفّار ﴿عَلَيْهِمْ﴾ اى على الكفّار او على الآلهة ﴿ضِدًّا﴾ ولمّا كان المنظور من كلّ منظور هو الولاية والوفاق والخلاف معها كان المراد انّ الكافرين بالولاية اتّخذوا مطاعين من دون عليٍّ عليه السلام ليكونوا لهم عزّاً .

كلاّ سيكفرون بطاعتهم لهم ويكونون عـليهم ضـدّاً؛ حـين مايرونهم فى الاعراف او فى القيامة او فى النّار او حال الاحتضار اذّلاء مردودين ويرون عليّاًعليه السلام فى اعلى مراتب العزّ .

وقداشير اليه فى الخبر: ولمّا كان الرّسول صلى الله عليه وآله متحزّناً عليهم وعلى انحرافهم وكأنّه عزم على الدّعاء عليهم قال تـعالى تسـليةً له صلى الله عليه وآله وتبطئة عن الدّعاء.

﴿أَلَمْ تَـرَ﴾ بـرؤيتك البـاطنيّة ﴿أَنَّـآ﴾ لاغـيرنا ﴿أَرْسَـلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ فاذا ترى انّا ارسلنا الشّياطين فما لك تتحسّر او تعجّل بالعذاب ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ ازّت القدر من باب نصر و ضرب اشتدّ غليانها، وازّت السّحابة صوّتت من بـعيدٍ وازّ النّار اوقدها، والشّيء حرّكه شديداً، والازّ ضربان العروق.

فاذا ترى انّا ارسلنا الشّياطين عـليهم ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ بالعذاب ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ﴾ الايّام او الانفاس ﴿عَدًّا﴾؛ و يقال: هـذه الكلمة حين يراد الاشارة الى قلّة الايّام وفى الخبر انّـما هـو عـدّ الانفاس والاّ فالآباء والامّهاتٍ يعدّون الايّـام او المـراد انـا نـعدّ اعمالهم عدّاً.

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ وَفْدًا﴾ وعلى هذا فيوم نحشر المتّقين ظرف لنعدّ، ويـجوز ان يكـون ظـرفاً لقـومه لايملكون او يكون مفعولاً لاذكر مقدّراً.

في حشر المؤمنين وفداًبالاكرام

اعلم، انّ التّقوى الحقيقيّة لاتحصل الاّ بالولاية ومن تولّى عليّاً كان تقيّاً استشعر بتقواه ام لا، ويوم الاعراف الّذى هو آخر البرازخ يحشر شيعة علىٍّ عليه السلام الى مقاماتهم الاخرويّه ونعيمهم وازواجهم على مانقل فى الاخبار من التّفاصيل واختيار اسم الرّحمن.

لانّ شيعة علىّ عليه السلام اذا وصل الى الاعراف لميبق عليه شيءٌ من اوصاف النّفس و يطهّر من كلّ ماينبغى ان يطهّر عنه من نسبة الافعال والصّفات الى نفسه بل من نسبة الانانية الى نفسه و يحصل له الفناء التّامّ الّذى هو آخر مقامات التّقوى .

و بعد الفناء التّامّ لايكون بقاء الاّ ببقاء الله و بعد البقاء يصير الباقى مبقياً لاهل عالمه و مملكته وهذا الابقاء هو الرّجعة فى العالم الصّغير و هو انموذج رحمة الله الرّحمانيّة.

و بهذا الاعتبار قال: نحشرهم الى الرّحمن وبحسب السّلوك اذا تمّ السّفر الثّانى للسّالك وانتهى تقواه الى الفناء الذّاتىّ وسار بالحقّ فى الحقّ ان ادركته العناية الآلهيّة وابقته بعد فنائه يصير السّالك ايضاً باقياً ببقاء الله و مبقياً لاهل مملكته واهل الملك الكبير ويصير عادلاً بعدل الله ومعطياً لكلٍّ حقّه.

و هذا من خواصّ اسم الرّحمن ولهذا قال: نحشر المتّقين الى الرّحمن؛ و وفداً جمع مثل ركب و صحب حال من المتّقين، او

مصدر بمعنى الجمع الوصفيّ وحال او مصدر مفعول مطلق من غير لفظ الفعل او بتقدير حشر وفد.

﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْداً﴾ الورد مصدر بمعنى الاشراف على الماء دخل ام لميدخل، واسم جمع بمعنى الجماعة الواردة على الماء.

و هو حالٌ او مصدر مثل الوفد، و فى استعمال لفظ الحشر هناك والسّوق الّذى ليس الاّ للبهائم ههنا مالايخفى من التّشريف والتّوهين، وقرئ يشحر ويساق بالغيبة مبنيّين للمفعول والمتّقون والمجرمون مرفوعين.

﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَـٰعَةَ﴾ اى العباد المطلق المصطفاد من ذكر القسمين او المجرمون.

المراد ممن اتّخذ عندالرّحمن عهداً

﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْداً﴾ استثناء من فاعل يملكون او من الشّفاعة بتقدير شفاعة من اتّخذ عند الرّحمن عهداً، او استثناء مفرّغ اى لايملكون لاحدٍ الشّفاعة الاّ لمن اتّخذ عند الرّحمن عهداً.

و الشّفاعة اعمّ من المصدر المبنىّ للفاعل والمفعول او هو مبنىّ للفاعل والمعنى لايمكون شفاعتهم للغير او شفاعة الغير لهم و قداشير فى الاخبار الى الكلّ والعهد المأخوذ عند الرّحمن هو عهد البيعة وقدفسّر فى الاخبار بعهد الولاية والبيعة مع علىٍّ عليه السلام فانّ اخذ

العهد عند الرّحمن من دون مظاهره وخلفائه لايتصوّر لاحدٍ.

و قدورد عن الصّادقعليه السلام انّه قال الاّ من دان الله بولاية اميرالمؤمنينعليه السلام والائمةعليهم السلام من بعده فهو العهد عندالله.

و ورد عنه ايضاً انّه قال: لايشفع لهم و لايشفعون الاّ من اتّخذ عند الرّحمن عهداً؛ الاّ من اذن له بولاية اميرالمؤمنينعليه السلام والائمّةعليهم السلام من بعده فهو العهد عندالله، و الولاية قدتكرّر فی مطاوی ماسلف انّها البيعة لاغير.

و قد ذكر فی الاخبار لبيان العهد بحسب الظّاهر امورٌ اخر من عهد الوصيّة و غيره.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ عطف على كفر بآياتنا وقرئ ولداً جمعاً.

عن الصّادقعليه السلام انّه قال هذا حيث قالت قريش: انّ الله عزّ وجلّ اتّخذ ولداً من الملائكة اناثاً.

﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾ جواب سؤال او حال بتقدير القول والادّ والادّة بكسرهما والادّة بفتح الهمزة، العجب والامر الفظيع والدّاهية و المنكر.

﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ صفة لشيئاً بعد صفة او حال منه او مستأنفة.

﴿وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ الخرّ السّقوط

مطلقاً او من علوٍ و الهدّ الهدم الشّديد و الكسر ﴿أَن دَعَوۡاْ﴾ بدل من الضّمير فى منه ﴿لِلرَّحۡمَـٰنِ وَلَدٗا ‌ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَـٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾ لانّه واحد احد لاضدّ له ولاندّ و لاثانى ولو كان له ولدٌكان ثانياً له ولوكان له ثانٍ لانهدم وحدته و بانهدام وحدته ينهدم وجوبه فسبحان من مقتضى ذاته عدم الثّانى له.

﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ جواب سؤالٍ فى موضع التّعليل ﴿إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَـٰنِ عَبۡدٗا ﴾ يعنى كلّ من فى السّموات و الارض يأتى يوم القيامة او آتٍ فى حال وجودهم عبداً للرّحمن خارجاً من انانيّته لامقابلاً له و ثانياً حتّى يسمّى ولداً ذكراً او اناثاً.

و لمّا كان المراد بالعبديّة العبديّة التّكوينيّة وليس كلّ افراد الانسان عبيداً لاسمائه اللّطفيّة ومظاهرها بل يكون بعضها عبيداً لاسمائه القهريّة ومظاهرها فى الدّنيا والآخرة اختار من الاسماء اسم الرّحمن الّذى هو مجمع اسمائه اللّطفية و القهريّة.

﴿لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ﴾ جواب لسوالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: هل يعلمهم مع كثرتهم؟

فقال: لقد احصاهم من حيث ذواتهم واجزائها و مالها و ماعليها ﴿وَعَدَّهُمۡ﴾ من حيث اعداد رؤسهم وافعالهم و اقوالهم واحوالهم واخلاقهم و جميع حركاتهم و لمحاتهم ﴿عَدّٗا ﴾ خارجاً من نحو تعدادكم الموقوف على الزّمان و التّجسّس.

﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا﴾ عمّا يحسب انّه له ممّن يعتمد عليه فى الدّين والدّنيا ومن جميع الاموال والقوى والاعضاء ومن جميع النّسب والاضافات ومن الاخلّاء والاحباب.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا﴾ جواب سؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: كلّهم مؤمنهم وكافرهم يأتيه فرداً، فقال: انّ المؤمنين يكونون بوصف الحبّ او مع محبّيهم غير منقطعي النّسبة عن اخلّائهم.

فانّ كلّ نسبة و خلّة منقطعة الاّ النّسبة والخلّة فى الله و قدتعدّد الاخبار بأن الرّسول ﷺ قال لعليٍّ عليه السلام يا عليّ قل: اللّهمّ اجعل لى فى قلوب المؤمنين ودّاً، فقال عليّ عليه السلام ذلك و نزلت الآية.

و فى بعض الاخبار ولاية اميرالمؤمنين عليه السلام هى الودّ الّذى قال الله تعالى.

و الودّ بتثليث الواو مصدر ودّ من باب علم ومنع او وصف منه و المناسب هو معناه الوصفيّ فانّ المقصود انّا سنجعل لهم محبّاً هو محبوبهم عند الرّجوع الينا.

فانّ نورهم يعنى امامهم يسعى حينئذٍ بين ايديهم وبايمانهم وان كان المراد به معناه المصدريّ فالمقصود هو هذا المعنى.

فانّ الحبّ الحقيقيّ هو ملكوت الامام الّذى يظهر على صدر السّالك و هذا يشير الى ماقاله الصّوفيّة من الفكر والحضور

والسّكينة وهو ظهور الامام بملكوته على السّالك و انّ السّالك ينبغى ان يكون تمام اهتمامه بظهورالشّيخ عليه و انّه البغية القصوى و القنية العظمى.

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ﴾ الفاء عاطفة دالّة على شرافة الحكم الآتى و الهاء للقرآن او قرآن ولاية علىّ(ع) او جعل الودّ الّذى هو ملكوت علىّ(ع) ﴿بِلِسَانِكَ﴾ بلغتك فانّ اللّسان يستعمل كثيراً فى اللّغة او على لسانك او فى لسانك.

﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ الّذين اتّقوا بالولاية الطّرق المنحرفة النّفسانيّة ﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾ جمع الالدّ و هو الخصم الشّحيح الّذى لايزيغ الى الحقّ.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ بيان لجهة من جهات الانذار ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم﴾ حال ممّا بعده ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾ لفظة من زائدة ﴿أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ صوتاً يعنى لاترى منهم عيناً و لاتسمع منهم صوتاً.

سورة طه

مكّيّة كلّها



﴿طـه﴾ قدسبق بيان تامّ لامثاله و قد ورد فيه بخصوصه انّه من اسماء النّبىّ ﷺ.

﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ بـل لتسـعد فـانّ المفاهيم فى مقام الخطابة معتبرة، و الشّقاء بمعنى العناء والتّعب.

و قد ورد بطرق متعدّدةٍ انّ الرّسول ﷺ كان يقوم على اطراف اصابع قدميه حتّى تورّمت قدماه ﷺ واصفرّ وجهه ﷺ، و يقوم اللّيل جمع حتّى عوتب فى ذلك فقال الله تعالى: طه ماانزلنا عليك القرآن لتشقى.

﴿إِلَّا تَذْكِرَةً﴾ استثناء منقطع او استثناءٌ مفرّع، و مـفعول له لتشقى او مفعول له لماانزلنا بشرط ان جعل لتشقى حالاً من القرآن او من مجرور عليك او استثناء مفرّغ حال من فاعل انزلنا او مـن مجرور عليك او من القرءان او من فاعل تشقى.

﴿لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ الخوف بالمعنى الخاصّ من صفات النّفس

مالم‌تصر عالمة تحقيقاً فاذا صارت عالمة تبدّل خوفها بالخشية كما انّها اذا صارت مكاشفة ومشاهدة صارت خشيتها هيبةً.

﴿تَنزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾

تنزيلاً مفعول مطلق لفعله المحذوف، او منصوب على المدح بفعل المدح، او مفعول مطلق نوعيّ لماانزلنا، او مفعول به ليخشى، او مفعولٌ له لتذكرة، او منصوب بنزع اللاّم وتعليل لتشقى او ليخشى.

و وجه افراد الارض و جمع السّماوات و بيان مصاديق كلّ قدمضى فى اوّل الانعام، و تقديم الارض على السّماوات مع انّها اشرف واقدم من الارض لمراعاة رؤس آلاى، و لانّ الآية لبيان تشريف التّنزيل باضافته الى من هو وسيع الخلق قويّ القدرة وهذا المعنى يقتضى التّرقّى من الادنى الى‌الاقوى، ولتقدّم الارض على السّماوات فى العالم الصّغير الحسّيّة.

في اتّصافه تعالى بالرّحمن و استواء العرش

﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ قرئ‌الرّحمن مرفوعاًمبتدءً و على العرش خبره و يكون الجملة حالاً او مستأنف او يكون على العرش متعلّقاً باستوى و استوى خبره و على الاوّل فاستوى مستأنفه او حال او خبر بعد خبر.

و قرئ مرفوعاً مقطوعاً عن الوصفيّة خبراً لمبتدءٍ محذوفٍ، و حينئذٍ يكون على العرش حالاً او خبراً بعد خبرٍ، او جملة بتقدير مبتدءٍ، ومستأنفة.

و هكذا الحال فی استوی وقرئ بـالجرّ صـفة لمـن خـلق الارض، و علی العرش حینئذٍ یكون حـالاً او مـتعلّقاً بـاستوی، او جملة مستأنفة بتقدیر مبتدء محذوفٍ ویجری الوجوه السّابقة فـی استوی، وقدمضی فی سورة الاعراف بیان تـامّ لاسـتواء الرّحـمن علی العرش و لوجه خلق السّماوات والارض فی ستّة ایّام.

﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ الجملة مستأنفة فـی مـوضع التّـعلیل فـانّه لمّاذكر انّه خالق السّـماوات والارض وانّـه مسـتوی النّسـبة الی الجلیل والقلیل والكثیر و الحقیر اجمالاً اراد ان یـعلّل ذلك بـنحو التّفضیل فقال، لانّ له بدواً وغایةً و ملكاً السّماوات جمیعاً ومافیها والارض ومافیها لانّه سبق مكرّراً انّ نسـبة شـیءٍ الی مـظروف تشتمل النّسبة الی الظّرف خصوصاً اذاكان المظروف اشرف مـن الظّرف ومابینهما من عالم البرزخ او من النّفوس المتعلّقة بهما الغیر المنطبعة فیهما و یكون المراد بما فیهما المنطبعات والمكـمونات فیهما وماتحت الثّری من عالم الجنّة او من القوی والاستعدادات البعیدة المكمونة الّتی لایعلمها الاّ اللّه.

﴿وَإِن تَجْهَرْ﴾ یا محمّد ﷺ او یا من یتأتّی مـنه الخـطاب وهو عطف علی قوله له مافی السّماوات و تعلیل آخر لشمول علمه وسعته وتصریح باحاطة علمه بعد التّـلویح الیـه او جـملة حـالیّة

والمعنى ان تجهر ﴿بِالْقَوْلِ﴾ يعلمه ﴿فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ فكيف لايعلم الجهر، والسّرّ مااخفيته في نفسك، واخفى ماخطر ببالك ثمّ نسيته كما في الخبر، او السّرّ ماكان مخفيّاً عن غيرك، وأخفى ماكان مكموناً عن نفسك ولم تطّلع انت ولاغيرك عليه.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ استينافٌ و تعليل و حصر للآلهة فيه تصريحاً بعدماافاده تلويحاً.

﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ تعليل آخر لعموم جملة صفاته المستفاد اجمالاً.

فانّه ان لم يكن جملة الصّفات الكماليّة ثابتة له او كان بعض صفاته غير محيطة كان اسم تلك الصّفة واسم كمال هذه مسلوباً عنه فلم يكن الاسماء الحسنى محصورةً فيه.

﴿وَهَلْ أَتَـٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ عطف على ماانزلنا لانّ الاستفهام للتّقرير فهو بمنزلة قداتيك او مستأنفة، والمقصود تذكيره صلّی الله عليه وآله بحكاية موسى عليه السلام حتّى يكون تسليةً له صلّی الله عليه وآله عن اذى قومه و حملاً له على الصّبر على متاعبهم وتجرئةً على دعوتهم من غير تأمّل في قبولهم وردّهم، ومن غير خوفٍ من لومهم و ايذائهم، وتقويةً لتوكّله واعتماده على ربّه صلّی الله عليه وآله وترغيباً في التّوسّل به و الانقطاع من كلّ من سواه يعني تذكّر حكاية موسى عليه السلام.

﴿إِذْ رَءَا نَارًا﴾ بدل من حديث موسى عليه السلام او ظرفٌ له

في انحصار اسماء الحسنى للّه تعالى في حكاية موسى عليه السلام و ولادته و...

وسيجيء فی سورة القصص حكاية حال موسیعليه‌السلام وتولّده ونشؤه وفراره الی مدين وتزويج ابنة شعيبعليه‌السلام ورجوعه الی مصر.

﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟﴾ فانّه بعد رجوعه من مدين ضلّ الطّريق فی ليلٍ مظلمٍ واصابهم برد شديدٌ وريح وتفرقّت غنمه واخذز وجته الطّلق فرأی ناراً.

فقال لاهله: امكثوا﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ای رأيتها بحيث اطمأنّ قلبی و سكن وحشتی.

﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ﴾بقطعة ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴾مايهتدی به من طريق اواثر معمورةٍ او انسان يدلّنی علی الطّريق وكان موسیعليه‌السلام غيوراً لايمشی مع الرّفقة لئلاّ يری زوجته الاجنبیّ فلمّا دهمه ظلمة اللّيل وتفرقّ ماشيته واصابهم برد شديد وابتليت روجته بمرض الطّلق واردان يوقدالنّار ولميـنقدح زنده واضطرب اضطراباً شديداً ورأی ناراً استأنس بها وقال لاهله تسليةً لها انّی آنست ناراً وترك الماشية واهله وذهب الی النّار.

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾ متعلّقاً قلبه بأهله وماشيته لانّه تركها بحالٍ لايجوّز العقل تركها بتلك الحال.

﴿نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا رَبُّكَ﴾قرئ بفتح همزة انّی وكسرها.

﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾الوادی

المفرج بين الجبال والتّلال والآكام وطوى قرئ منصرفاً وغير منصرفٍ باعتبار كونه علماً للوادى وعلماً للبقعة وسمّى مقدّساً لانّه بورك فيه بسعة الرّزق والخصب كما قيل.

او لانّه كان مطهّراً من عصيان بنىآدم، او لانّه قدّست فيه الارواح واصطفيت فيه الملائكة وكلّم الله موسى تكليماً كما فى الخبر، وسمّى طوىً لانّه كان مطوّياً فيه العلوم، او الملائكة والبشر، او الخير والبركة، او عالم الطّبع والكثرات، او الخلق والحقّ وامره بخلع نعليه لانّ الحفاء اقرب الى التّواضع، ولان يلاصق قدمه الوادى فتتبرّك به ولانّ النّعلين كانتا كنايةً عن الاهل، او عن الاهل والمال كما يعبّران فى الرّؤيا بالمنكوحة.

او لانّهما كانتا كناية عن خوف ضياع ماله واهله، او عن خوف ضياع اهله وخوف فرعون فأمره بخلع حبّ الغير او خوف الغير من قلبه، ومانقل من طرق العامّة من انّهما كانتا من اهاب الميتة فأمره الله بخلعها، ورد صريحاً تكذيبه من طريقنا.

اعلم، انّ الانسان من اوّل طفوليّته مبتلىً بمشتهياته الحيوانيّة ومقتضياته النّفسانيّة فهو بعد البلوغ امّا يقف عليها ولايعرف من الدّين و الملّة سوى ماأخذه واعتاده من الآباء والاقران .

او يظهر فى وجوده زاجرا لهيٌّ فيزجره عن الوقوف على

الحيوانيّة وهو امّا يقف على هذه الحالة ويتحيّر فى امره حتّى يدركه الموت وهو حال اغلب النّاس او يصل بهيجانه و انزجاره الى زاجرٍ آلهيٍّ ظاهريٍّ من نبيٍّ او خليفته ويسلّم نفسه له ويقبل منه الاحكام القالبيّة الظّاهرة فى ایّ دينٍ وملّة كان وهو امّا يقف عن طلبه ويكتفى بالاتّصال بالزّاجر الآلهيّ وظواهر الاحكام القالبيّة وهو حال اغلب الملّيّين .

او يتهيّج لطلب بواطن الاحكام القالبيّة ويطلبها؛ وهو امّا يقف ويتحيّر حتّى يدركه الموت، او يصل الى من يدلّه على طريق معرفة بواطن الاحكام؛ وهذا امّا يكتفى بالوصلة البشريّة والبيعة الولويّة، او يزداد بذلك شوقه الى معرفة البواطن و شهود الغيب.

وذلك اما يقف على هذه الحال حتّى يدركه الموت او تدركه العناية الالٓهيّة وتوصله الى مقامٍ من النّفس يرى فيه مظاهر الله ويسمع صوت الله من مظاهره وهذا اوّل مقام الاطّلاع على الغيب والالتذاذ ببواطن الشّرع، وهذا اوّل مقامٍ يصلح العبد لان يرجعه الله الى الخلق للدّعوة والتّكميل فانّ دعوته هناك تكون على بصيرةٍ ويصير العبد من اتباع محمّدٍ صلى الله عليه وآله الّذين اشار اليهم بقوله تعالى:

قل هذه سبيلى ادعو الى الله على بصيرةٍ انا ومن اتّبعنى.

سواء كان من امّة محمّدٍ صلى الله عليه وآله او من الامم الماضية، ولمّا كان الانسان مفطور التّعلّق بالكثرات ولايبلغ الى هذا المقام الاّ من طرح

الكثرات وازال الانانيّات كان الله تعالى اذا ارادان يـبلغ عـبده الى هذا المقام ابتلاه بالبلايا الواردة النّفسيّة والبدنيّة والحقّيّة الخـلقيّة حتّى ينزجر غاية الزّجرة ويستوحش غاية الوحشة و ينصرف من الكثرة الى الوحدة و لذلك يظهر قبل ظهور صاحب الامر الدّجّال و السّفياني، و قبل خراب الدّنيا يأجوج ومأجوج، ولمّااراد الله تعالى ان يبلّغ موسىعليه السلام الى هذا المقام وكان شديد الاهـتمام بـالكثرات وحقوقها سلّط عليه البرد وظلمة اللّيل وتفرّق المـاشية ومـخاض المرأة وعدم انقداح الزّندة وضلال الطّريق حتّى دهش غاية الدّهشة واستوحش غاية الوحشه.

ثمّ اراه نوره بـصورة النّـار وبـلّغه الى ذلك الوادى وذلك الوادى واقع بين جبلى انانيّة الله وانانيّة العبد ومطوىّ فيه الخيرات والبركات ومجتمع للملك والبشر والخلق والحـقّ، ومـطوىّ فـيه انموذجات العلوم كلّها والآيات جلّها .

و هذا هو طور النّفس و مرتفعها وفـناء دار التّـوحيد فـانّ الطّور اسم للجبل ولفناء الدّار كما انّه علمٌ لجبل قرب ايلة يضاف الى سينا وسينين وعلم جبلٍ بالشّام .

و قيل: هو يضاف الى سينا وسينين، وعلم جبلٍ بـالقدس عـن يـمين المسجد، و آخر عن قبلته به قبر هارون، وجبلٌ برأس العين، وجبلٌ مشرفٌ على الطّبريّة وعلم كورة بمصر، وعلم بلد بنواحى نصيبين.

﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ﴾ يعنى للرّسالة والوحى، وقرئ انّا اخترناك بفتح الهمزة و تشديد نون انا، واخترنا بصيغة المتكلّم مع الغير.

﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ للوحى او للّذى يوحى اليك ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ بيان لمايوحى.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا﴾ لمّا كان اساس الرّسالة واصل الاصول والفروع فى الدّين هو التّوحيد كان الله تعالى يوحى بتوحيده الآلهة والعبادة اوّل مايوحى.

﴿فَاعْبُدْنِى﴾ اى صر عبداً لى بخروجك من رقّيّتك لنفسك وللشّيطان ومن شراكة نفسك والشّيطان لله فى عبديّتك او اعمل لى عمل العبيد.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ اى لان اذكرك ولاشرف اشرف منه يعنى انّ الصلوة ذكرك لى وذكرك لى مستعقب لذكرى لك، او لان تذكرنى او لمحض ان تذكرتنى من غير شوب غرضٍ آخر فيها.

او المعنى اقم الصّلوة لحصول ذكرى بمعنى انّك كلّما تذكّرنى فتوجّه توجّهاً تامّاً حتّى تقيم الصّلوة ولاتكن كمن يذكرنى ذكراً ناقصاً من غير توجّهٍ والتفاتٍ.

او بمعنى انّك كلّما ذكرت الصّلوة المنسيّة بان ذكرتنى و ذكرت امرى وتذكّرت نسيان الصّلوة المنسيّة فأقمها.

او بمعنى انّى ذاكرٌ لك بالذّكر العامّ مداماً و يقتضى ذلك ان

تكون متوجّهاً الىّ توجّهاً تامّاً وقدسبق فى اوّل البقرة معانى الصّلوة، وتحقيق اقامتها.

وانّ اقامة الصّلوة عبارة عن ايصال الصّلوة القالبيّة بالصّلوة الذّكريّة القلبيّة وايصال الصّلوة الذّكريّة بالصّلوة الفكريّة الصّدريّة، وايصال الصّلوة الفكريّة بالصّلوة القلبيّة الحقيقيّة، وايصال الصّلوة القلبيّة بالصّلوة الرّوحيّة.

واعلم، انّ الذّكر كما سبق بيانه فى سورة البقرة عند قوله تعالى فاذكرونى اذكركم له مراتب ودرجات وانّ الذّكر الحقيقىّ وحقيقة الذّكر هو خليفة الله فى الارض.

فانّه وان كان بحسب ملكه مختفياً كونه ذكر الله لكنّه بملكوته ذكر جلىّ لله بحيث يلتبس على غير ذى‌البصيرة التّامّة انّه هو الله لظهور المحكىّ به بحيث يختفى البينونة ويغلب حكم الظّاهر على المظهر.

وانّ المقصود من الاذكار والاعمال الّتى يقرّرها صاحب هذا الامر على السّالك هو حصول هذا الذّكر فانّه غاية الغايات ونهاية النّهايات.

فالمعنى على هذا اقم الصّلوة واوصل مراتبها كلاًّ بالاخرى لتحصيل هذا الذّكر او لحصوله يعنى ان لميكن هذا الذّكر حاصلاً لك فاقم الصّلوة ليحصل لك لانّه هو البغية العظمى والغنية القصوى،

وان كان هذا الذّكر حاصلاً لك فاقم الصّلوة شكراً لهذه النّعمة واستتماماً لتلك البركة.

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾ تعليلٌ لقوله: اقم الصّلوة لذكرى فانّ السّاعة فسّرت فى الاخبار بساعة ظهور القائم عليه السلام، وبساعة الموت، وبالقيامة.

وهذه الثّلاث فى العالم الصّغير متّحدة فانّ ظهور الامام عليه السلام بملكوته لايكون الاّ عند الموت الاختيارىّ كما انّه لايكون الموت الختيارىّ الاّ عند ظهور الامام عليه السلام وعند الموت يكون القيامة الصّغرى، وكمايكون ظهور الامام عليه السلام فى الموت الاختيارىّ يكون فى الموت الاضطرارىّ ايضاً كما فى الاخبار فعلى هذا كان المعنى اقم الصّلوة منتظراً لظهور الامام عليه السلام بملكوته لانّ ساعة ظهوره آتية لامحالة فانتظرها.

﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ قرئ بضمّ الهمزة من الاخفاء بمعنى جعل الشّيء خفيّاً، او بمعنى سلب الخفاء عن الشّيء، وقرئ بفتح الهمزة من خفاء بمعنى اظهره، ولكن فى الاخبار اشارة الى معنى السّتر، ولمّا كان ظهور السّاعة من الامور الخفيّة الّتى لايطّلع عليها النّفوس الضّعيفة بل الكاملة الاّ صاحب الولاية المطلقة الّذى يطّلع على دقائق الامور وخفيّاتها.

و لذلك قال علىّ عليه السلام: قدخصّصت بعلم المنايا والبلايا.

فانّ المراد بالمنايا انواع موتات الانسان فى السّلوك وفى البرازخ، وانواع ظهورات السّاعة والقائم عجّل الله فرجه والمراد بالبلايا انواع الامتحانات للخلاص من حجب ظهور السّاعة والامتحان لظهور السّاعة فرّع العلم بكيفيّة ظهورها ووقت اتيانها وفى اخبارنا: اكادا خفيها من نفسى.

و قيل: اكادا خفيها من نفسى هكذا نزلت، وانّه فى قراءة ابىٍّ كذلك، وهذه الكلمة تقال عند المبالغة فى اخفاء شيءٍ من غير اعتبارٍ واخفاءٍ من النّفس، او المراد بقوله تعالى: من نفسى: من خليفتى، فانّ خليفته فى الارض بمنزله نفسه.

﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ تعليل لقوله: انّ السّاعة آتية، لانّ ظهور القائم عليه السلام يوجب اعطاء كلّ ذى‌حقٍّ حقّه، او تعليل لقوله: اكادا خفيها لانّ فى الاخفاء وعدم الاظهار يحصل الابتلاءات والامتحانات والتّخليصات للسّالكين فى الدّنيا وللمسيئين فى البرازخ بعد الموت على ان يكون المراد بالسّاعة القيامة الكبرى والقيام عند الامام بعد الخلاص ممّا عليه من شوائب المساوى والابتلاءات جزاء مافعله العبد باقتضاء نفسه ومشتهياتها.

او تعليل لكليهما على سبيل التّنازع، والجزاء امّا بعين ماتسعى بناءً على تجسّم الاعمال، او بجزاء ماتسعى، وفى الآية على مافسّرت اخيراً دلالة على ماقالته الصّوفيّة من انّ السّالك

ينبغى ان يكون منتظراً لظهور صاحب‌الامرعليه السلام وان لايكون منظوره من جملة اعماله الاّ ظهور صاحبه.

وفى قوله: اقم الصّلوة لذكرى ايماء الى حصر المقصود من الاعمال فى الذّكر باعتبار مفهوم القيد ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا﴾ اى عن اقامة الصلوة لذكرى او عن الصّلوة لذكرى او عن السّاعة اى عن ساعة ظهور الامام عجّل الله فرجه.

﴿مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا﴾ فى مرجع هذا الضّمير مافى مرجع ضمير عنها ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ من قبيل عطف العلّة او المعلول ﴿فَتَرْدَىٰ﴾ فانّ فى الصّدّ عنها صرفاً عنها وفى الصّرف عنها توجّهاً الى الدّار السّفلى وحركةً فيها لانّ النّفس متحرّكةٌ وخارجة بالتّدريج من القوّة الى الفعل، واذا انصرفت عن الدّار العليا توجّهت لامحالة الى الدّار السّفلى وتحرّكت فى دركاتها وفيها هلاكتها.

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ لمّاصار موسىعليه السلام فى غاية الوحشة والدّهشة والاضطراب من خوف ضياع ماله وعياله ورؤية غرائب لم‌يكن يرى قبل ذلك مثلها من اشتعال نارٍ بيضاءمن شجرةٍ خضراء من اصلها الى فرعها لم‌تكن تضرّ النّار بخضرتها واهواء النّار اليه كلّما اراد ان يأخذ منها و تكلّم متكلّم من النّار، سأل تعالى عن احبّ الاشياء اليه حتّى يشتغل به ويأنس من وحشته ويسكن من اضطرابه فانّ الاشتغال يسكّن الضطراب خصوصاً اذا

كان فى حقّ المحبوب ومع من كان الاضطراب منه.

و لذا بسط موسى عليه السلام فى الجواب و ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ﴾ وزاد على قدر الجواب قوله ﴿أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا﴾ اى اعتمد فى المشي او حين اريد ان أقوم على غنمى ﴿وَأَهُشُّ بِهَا﴾ اي اخبط الورق من الاشجار ﴿عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾ مثل سوق الغنم بها ودفع الذّئب حين تعرضه، والاستظلال بسببه بان كان يركزها فى الشّمس ويعرض الزّندين على شعبتيها ويلقى عليها كساءه، وتطويل حبل الدّلوبها اذا قصر، وغير ذلك، واجمل المآراب مع انّه كان اقتضاء بسط الجواب ان يبسط المآراب امّا للاستحياء.

او لعدم مساعدة قبله على اكثر من ذلك لشدّة اضطرابه، وايضاً لمّااراد الله ان يجعل عصاه آية نبوّته وآية انّ الكلام رحمانيٌّ لاشيطانيّ اذ قيل: انّ موسى عليه السلام شكّ فى انّ الكلام شيطانيّ او رحمانيٌّ، وقيل: انه عليه السلام بعد ماسمع انّى انا الله من الشّجرة قال، ماالدّليل على ذلك؟ ـ سئل من عصاه حتّى يتنبّه انّه جماديّت ويتدكّر فلايشك اذاصارت حيّة حيّةً فى انّه آلهيٌّ لاشيطانيٌّ.

﴿قَالَ﴾ الله تعالى ﴿أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ تتحرّك سريعةً، قيل: لمّاالقيها صارت حيّةً بغلظ العصى فعظمت وصارت ثعباناً عظيماً، ولذلك سمّاها جانّاً تارةً، و ثعباناً اخرى، او صارت من اوّل الامر بعظم الثّعبان لكنّها تتحرّك

سريعاً مثل الجانّ، ولمّارأى موسى عليه السلام انّـها صـارت حـيّةً عـظيمةً تسعى خاف منها وادبر يعدو من خوفه.

﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾اى هيئتها الاولى ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾الجناح اليد و العضد والابط والجانب ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ اى من غير علّة برصٍ وكان موسى عليه السلام شديد السّمّرة فأخرج يده من جيبه فاضاءت له الدّنيا.

﴿ءَايَةً أُخْرَىٰ﴾ على صدق كلامى وانّـه رحـمانىّ وعـلى صدق رسالتك عند من اريدان ارسـلک اليـه ﴿لِنُرِيَكَ﴾ مـتعلّق بتخرج او باضمم او ظرف مسـتقرّ خـبر مـبتدءٍ مـحذوفٍ، واللاّم للتّبيين او متعلّق باذهب والمعنى لنريك.

﴿مِنْ ءَايَـٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ يـعنى المقصود الاهمّ من ارسالك اليه تكميلك فـى ذاتك حـتّى تسـتعدّ لرؤية الكبرى من الآيات وهى مشاهدة نور الولايـة العـلويّة، و الكبرى امّا صفة للآيات والمفعول محذوف.

ومن آياتنا قائم مقامه، او من بنفسه مفعول ثانٍ لنريك لكون من اسماً او لقيامه مقام المفعول لقوّة معنى البعضيّة فيه، او الكبرى مفعولٌ ثانٍ لنريك ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ تجاوز عن الحدّ حتّى استكبر على خلفاء الله ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى﴾.

اعلم، انّه قدتكرّر قصّة موسىعليه السلام وقومه وقصّته مع فرعون باختلافٍ يسيرٍ فى الالفاظ ووجه التّكراران حكاية موسىعليه السلام من اوّل انعقاد نطفته الى آخر حياته كلّها عبرة ونصح و وعد و وعيد وانذار وتبشير وتسلية للرّسولصلى الله عليه وآله وللمؤمنين، وتقوية لتوكّلهم وصبرهم على مانالوه من الدّهر والاعداء.

و فيها آيات كثيرة دالّة على علمه تعالى و قدرته و لطفه ورحمته ونكاله وعقوبته، و على قوّة قلب موسىعليه السلام وسعة صدره وزيادة تحمّله لمانال من قومه الّذين كانوا اشدّ حمقاً من امم جميع الانبياء، و شدّة صبره على مداراة الاعداة ليكون اسوةً لهصلى الله عليه وآله وللمؤمنين فى جميع ذلك، وكفى فى قوّة قلبه وسعة صدره فى مقام المناجاة الّذى قلّما ينفكّ المناجى عن الغشى والانسلاخ من الكثرات ومن الشّعور بها بقاء التفاته الى الكثرات بحيث لميكن يهمل من حقوقها شيئاً.

فانّه بعد ماامره الله تعالى و شرّفه بالرّسالة استشعر بانّ الرّسول ينبغى ان يكون طليق اللّسان حتّى يمكنه الدّعوة و المجادلة اللاّزمة للدّعوة ودفع الخصم وشبهاته وكان بلسانه لكنة لايمكنه ذلك.

و ينبغى ان يكون وسيع الصّدر حتّى يمكنه تحمّل متاعب الرّسالة، و لاينزعج بكلّ مكروهٍ فانّ الرّسالة يلزمها المكاره الّتى

يسلم اكثر النّاس منها، و كان ضيّق الصّدر شديد الغضب سريع الانزعاج من كلّ مكروهٍ، و ينبغي ان يكون محبوباً للخلق لامبغوضاً و كانعليه السلام مبغوضاً لهم لقتله منهم نفساً.

ولذلك اعتذر واستعفى وقال كما فى سورة الشّعراء: ربّ انّى اخاف ان يكذّبون ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى فارسل الى هارون ولهم علىّ ذنب فاخاف ان يقتلون، ولعلّه كان الكلام والامر والرّدع من الله الاعتذار و الاستعفاء و المسئلة من موسىعليه السلام مكرّراً وكان استعفاؤه كما فى سورة الشّعراء اوّل مااجابه فلمّا ردعه الله عنه سأل منه تعالى شرح صدره كما حكىالله عنه فقال: اذا لميكن بدّ من ارسالى فاشرح لى صدرى .

﴿وَ يَسِّرْ لِيَ أَمْرِي ﴾ حتّى لايردّونى ولايبغضونى فيصعب علىّ دعائى لهم لانّى قتلت منهم نفساً ويقبلوا منّى ﴿ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴾ الظّاهر و لسانى الباطن ﴿يَفْقَهُواْ قَوْلِي ﴾ فانّه كان بلسانه لكنة من جمرة ادخلها فاه حين امتحان فرعون تميزه و رشده.

﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي هَـٰرُونَ أَخِي ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴾ قوّتى ﴿وَ أَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴾ قرئاشدد بضمّ الهمزة واشركه بفتح الهمزة على صيغة الامر وقرئالاوّل بفتح الهمزة و الثّانى بضمّها على صيغة المضارع المتكلّم فان كانا امرين كانا

تاكيداً لقوله: اجعل لى وزيراً و لذلك لم‌يأت باداة الوصل، وان كانا مضارعين كانا مجزومين فى جواب الامر.

و فى قوله: اشركه فى امرى، دلالة على انّه لم‌يرد بكونه وزيراً محض المعاونة فى الامر بل اراد ان يكون شريكه فى الرّسالة ايضاً حتّى يكون اهتمامه بالامر مثل اهتمام موسى عليه السلام.

﴿كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَ نَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾ لمّا كان عماد امر الرّسالة والعبادة هو التّسبيح والتّحميد بل كان اساس جملة الامور على الطّرح والاخذ والخلع واللّبس الّذين صورتهما الزّكوة والصّلوة والتّسبيح والتّحميد والتّبرّى والتّولّى، جمع فى غاية مسؤله بينهما وجعل غاية سؤال الموازرة ذلك للاشعار بانّ منظوره من السّؤال ليس الاّ ماهو ملاك جملة الامور.

وفيه اشعار بانّ الاجتماع اذا كان على سبيل الموافقة يعين على جهة العبادة ﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ اعتذار عن سؤال وزارة هارون بأنّك بصير باحوالنا وانّى منفرداً لااقدر على امضاء هذا الامر وانّ هارون اولى من غيره لوزارتى وانّى لم‌اراد من هذا السّؤال الاّ تكثير التّسبيح والذّكر، او استدراك لنقصان سؤاله بمعنى لكنّك كنت بنا بصيراً فان تعلم انّه لايصلح لى هذا المسؤل، او لايصلح هارون للوزارة، او لاخير لى فى شرح صدرى وتيسير امرى فلاتجب مسؤلى.

﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَـٰمُوسَىٰ﴾ قيل فى هذا دلالة على انّه اراد بقوله واحلل عقدةً من لسانى العقدة الباطنيّة لانّ لكنة لسانه الظّاهر كانت باقيةً بدليل قوله تعالى حكاية عن فرعون: لايكاد يبين.

في مرّات من الله تعالى على موسى عليه السلام

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ﴾ كما مننّا عليك فى هذه المرّة بتشريف الرّسالة وباجابة مسؤلك.

﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ﴾ ظرف لمننّا او بدل من مرّةٍ اخرى ان اعتبر فيها معنى الظّرفيّة فانّ المرّة بمعنى الفعلة من الفعل السّابق عليها لكنّها قديعتبر فيها معنى الظّرفيّة بتقدير الزّمان قبلها.

﴿إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾ حين تولّدك وخوفها من قتلك ﴿مَا يُوحَىٰٓ﴾ ماينبغى ان يوحى ولايترك لترتّب المصالح العديدة عليه من انجاء بنى‌اسرائيل من القبطىّ، واهلاك اعداء الله واحياء العالم بانتشار صيت الرّسالة والوحى كان الهاماً، او على لسان نبىّ وقتها او كان بتحديث الملك فى المنام او فى اليقظة.

﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ﴾ ان تفسيريّة وتفسير لمايوحى او مصدريّة وبدل من مايوحى يعنى اوحينا اليها ان تصنع تابوتاً لاينفذ الماء فيه وان تلقيك فيه.

﴿فَاقْذِفِيهِ﴾ اى التّابوت او موسى عليه السلام ﴿فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾ تكرار عدوٍّ

لمطلوبية تكرار الذّمائم عند الذّمّ ولانّ جهة عداوة كلّ غير جهة عداوة الآخر.

﴿وَ أَلْقَيْتُ﴾ عطف على اوحينا والتّفاوت فى المسنداليه امّا لانّ الوحى لايكون الاّ بواسطة او وسائط.

و القاء المحبّة ليس الاّ بلاواسطة، او للاشارة الى تشريفٍ له بانّه تعالى بنفسه القى المحبّته اليه دون الوحى الى امّه او لمحض التّفنّن و تجديد النّشاط.

﴿عَلَيْكَ مَحَبَّةً﴾ عظيمةً او حقيرةً ﴿مِّنِّى﴾ صفة لمحبّة بمعنى القيت عليك محبّتى فصرت محبوباً لى، ومن صار محبوباً لى يصير محبوباً للكلّ لانّ محبّة كلّ الموجودات رقيقة من محبّتى فاذا تعلّق محبّتى بشيءٍ تعلّق بذلك الشّيء محبّة جميع الموجودات لميل كلّ المحبّات الى اصلها الّذى هو محبّتى.

او بمعنى القيت عليك محبّة النّاس من قبلى لامن جانب الاسباب مثل الجمال والكمال، او بمعنى القيت عليك محبّتك لى فصرت محبّاً لك لانّ كلّ محبوبٍ يحبّ محبّه، او بمعنى ألقيت عليك محبّتك للنّاس فصرت محبّاً للنّاس فصار النّاس محبّاً لك ومنّى ظرف لغو متعلّق بالقيت بهذين المعنيين وكان موسى عليه السلام بحيث كلّما راه رآءٍ احبّه.

ولذلك اجاب فرعون زوجته آسية فى قولها قرّة عينٍ لى

ولك لاتقتلوه ﴿وَلِتُصْنَعَ﴾ عطف على محذوفٍ اى لتصير محبوباً ولتصنع او متعلّق بمحذوفٍ معطوف على القيت اى فعلت ذلك لتصنع ﴿عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ يقال فلان على عينى اى يكرم عندى.

او المراد على ديدبانى يعنى مكرّماً على ديدبانى الموكّل بك ولتشريف موسىعليه السلام بالنّسبة الى سفينة نوحعليه السلام قال ههنا على عينى و هناك اصنع الفلك باعيننا.

﴿إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ﴾ متعلّق بالقيت او بتصنع يعنى لتربّى وتكمل على عينى وقت وقوعك فى يد فرعون ومحبّته لك وطلبه مرضعة لك و عدم التقامك ثدياً وانتظارهم وتوقّعهم ارتضاعك وحاجتهم الشّديدة الى مرضعة ترضعك اذ تمشى اختك.

﴿فَتَقُولُ﴾ لهم ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ﴾ وسألوا من اختك الدّلالة عليها و احضر فرعون امّك و سلمّك اليها للارضاع باجرةٍ ومؤنةٍ ﴿فَرَجَعْنَـٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ امّك او انت.

﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾ عطف على اوحينا والمراد بقتل النّفس قتل القبطىّ الّذى كان منازعاً مع السّبطىّ فبطشه كما سيأتى.

﴿فَنَجَّيْنَـٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ بان الهمناك ودللناك على الخروج من مصر ﴿وَفَتَنَّـٰكَ فُتُونًا﴾ ابتليناك من اوّل انعقاد نطفتك بانواع البلايا لتكون عبرةً للنّاظرين والسّامعين لها وحجّةً على الجادين

المنكرين لقدرة الله الخادعين مع الله بان جعلنا انعقاد نطفتك على باب قصر فرعون فى ليلٍ كان فرّق بين نساء بنی‌اسرائيل ورجالهم.

وحملت بك امّك فى عامٍ كان فرعون وكلّ فيه بنساء بنی‌اسرائيل نساءً من القبطیّ يفتّش النسّاء لاستظهار الحمل، و يستحيين حيائهنّ و لم‌يظهر حملك عليهنّ، و ولدت فى عامٍ كان فرعون يقتل كلّ مولودٍ ذكرٍ اسرائيلیٍّ فيه فألقيت على المرأة الموكّلة بأمّك محبّة لك حتّى قالت لأمّك لاتحزنی و اصنعی به ماشئت ولم‌تخبر بك، والقتك أمّك فى البحر فسلّمتك من الغرق وسائر آفات البحر.

وسلّمتك الى فرعون وألقيت محبّتك فى قلبه، وربيّتك فى حجر عدوّك حتّى استدعى من امّك ان ترضعك باجرة، وابتليتك بان همّ فرعون بقتلك غير مرّةٍ فسلّمتك، وبان قتلت نفساً منهم ففررت خوفاً منهم من غير رفيقٍ وزادٍ وراحلةٍ الى مدين فسلّمتك الى مدين والى نبیّ شعيب وزوّجتك ابنته.

وابتليتك بان آجرت نفسك عشر سنين لرعى ماشيته بان صرت محبوساً بتلك الاجارة وكان كمالك فى ذلك الحبس، وبعد ماخرجت من مدين ابتليتك ببرد شديدٍ وظلمة شديدة وضلال الطّريق وتفرّق الماشية ومخاض المرأة و عدم انقداح الزّند حتّى اخلصتك لمناجاتی وكلامی بذلك.

﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ﴾ عشراً ﴿فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ على ما روى انّه اتمّ ابعد الاجلين.

﴿ثُمَّ جِئْتَ﴾ من مدين اليّ او الى ههنا او الى مصر مشتملاً ﴿عَلَىٰ قَدَرٍ﴾ اى مبلغ يبلغ الرّجال فيه الى الكمال، او على طاقة لحمل أعباء الرّسالة، او على قوّةٍ فى بدنك ونفسك، او على ماقدّر لك من فضل الرّسالة.

﴿يَٰمُوسَىٰ﴾ فى تكرار النّداء لطف من الله والتذاذ للمنادى ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ﴾ مبالغة فى الصّنع يعنى خلقتك وربّيتك وأكملتك كمالاً ينبغى بحال الكمّل من الرّجال خاصّاً ﴿لِنَفْسِي﴾ هذا غاية تشريف وتكريم له ﷺ.

و لمّا كان مراده ان يرسله الى من هو خائف منه ذكر قبل ذلك مامنّ به عليه مرّاتٍ عديدةً ليكون على ذكر من ذلك ويتسلّى بذلك عن خوفه ويكون على قوّةٍ من القلب حين الذّهاب الى فرعون وقال تعالى ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ﴾ كما سألته.

﴿بِـَٔايَٰتِي﴾ الى فرعون وقومه اسقطه ههنا بقرينة السّابق واللاّحق ﴿وَلَا تَنِيَا﴾ لاتفترا ﴿فِي ذِكْرِي﴾ الّذى اخذتماه من شيخكما للدّوام عليه او فى تذكّرى والتّوجّه اليّ بقلوبكما حيثما تقلّبتم، او حين الدّعاء اليّ، او فى رسالتى، او فى ذكرى بألسنتكم عند فرعون.

﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ تأكيدٌ للاوّل ولذلك لم‌يأت بأداة الوصل.

﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ قولاً بمعناه المصدريّ، او بمعنى المقول مفعول مطلق او مفعول به ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾.

عن الكاظم عليه السلام وامّا قوله: لعلّه يتذكّر او يخشى، فانّما قال ذلك ليكون أحرص لموسى عليه السلام على الذّهاب وقدعلم الله عزّ وجلّ انّ فرعون لايتذكّر ولايخشى الاّ عند رؤية البأس، والتّذكّر كناية عن الرّجاء، والخشية هى الخوف.

﴿قَالَا﴾ يعنى قال موسى عليه السلام قالاً وهارون عليه السلام حالاً، او قال موسى عليه السلام وضمير التّثنية للتّغليب، او قالا بعد رجوع موسى عليه السلام الى مصر واعلام هارون عليه السلام بالرّسالة.

﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ﴾ اى يسبقنا ويسبق آياتنا بقوّته وعقوبته او يسرف علينا، وقرئ يفرط مبنيّاً للمفعول وللفاعل من افرطه اذا حمله على المعاجلة، او من افرط اذا اسرف.

﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ يعنى نخاف من قساوته وعن ملكه ان يسبقنا بالعقوبة، او يظهر بالنّسبة اليك مالانرضاه ولانتحمّله ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ﴾ معيّةً خاصّةً غير المعيّة المطلقة الّتى تكون لى مع كلّ شيءٍ فتمنعه معيّتى لكما عن الاسراف عليكما

وعن الطّغيان علىّ ﴿أَسْمَعُ﴾ منه مالاتسمعاه ﴿وَأَرَىٰ﴾ منه مالاترياه منه فاصرف عنكما شرّه في كلّ حالٍ و انصركما من حيث لاترون و لايرى.

﴿فَأْتِيَاهُ﴾ اى اذا كنت معكما اسمع وارى فأتياه من غير خوفٍ منه متّكلين على نصرتى ﴿فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ تثنية الرّسول ههنا وافراده في الشّعراء للاشارة الى وحدة الرّسالة وتعدّد الرّسولين.

﴿فَأَرْسِلْ﴾ اى اطلق من الاستعباد وارسل ﴿مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ الى مانشاء من البلاد، او ارسل من العذاب معنا بنياسرائيل سواء كنّا في مصر او في غيرها.

﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾ جواب سؤالٍ مقدّرٍ او مذكورٍ حين التّكلّم محذوفٍ حين الحكاية كأنّه قال: وهل لكما مايدلّ على صدقكما؟

فقالا: قدجئنا بآيةٍ دالّة على صدقنا في رسالتنا من ربّك، وتكرار ربّك للاشعار بانّه مربوب وليس بربٍّ كما ادّعاه، وهذا جزء مقول القول الّذى امرا به او كلام منهما والتّقدير فجاء او قالا له ماقاله تعالى فقال: ماالدّليل؟ قالا: قدجئناك (الى آخر الآية).

﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ إِنَّا قَدْ﴾ يعنى أظهرا دعواكما عنده وأظهرا انّ لكما آيةً على دعوتكما، ثمّ حيّياه بتحيّة

المتاركة بنحو التّعريض بضلاله ودعائه الى اتّباع الهدى، او قولا له: السّلامة على من اتّبع الهدى.

و على هذا فقوله ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَ تَوَلَّىٰ﴾ كان فى موضع تعليلٍ، و على الاوّل كان جواباً للسّؤال عن حالهما فى رسالتهما، هذا اذا كان قوله: قدجئناك محكيّاً بالقول، واذا كان منهما حين الورود على فرعون كان قوله: والسّلام على من اتّبع الهدى (الى آخر الآية) من قولهما، وارتباطه بسابقه كان ظاهراً.

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَـٰمُوسَىٰ﴾ نادى موسىعليه السلام لانّه كان الاصل وهارونعليه السلام كان فرعاً، او ارادان يتكلّم موسىعليه السلام حتّى يظهر على الحاضرين عجزه عن التّكلّم ووهنه فى ادّعائه ،و يدلّ عليه قوله امانا خير من هذا الّذى هو مهين ولا يكاد يبين.

في جواب موسىعليه السلام لفرعون حينماسأل عن ربّهما

﴿قَالَ﴾ موسىعليه السلام لمّاخصّه بالنّداء اجاب هو عنه فقال ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ﴾ قرئبسكون اللاّم مفعولاً ثانياً لاعطى، او مفعولاً اوّلاً اى اعطى كلّ شيءٍ خلقه وايجاده او خلقه وصورته اللاّئقة به .

او اعطى كلّ شيءٍ نظيره فانّ كلّ شيءٍ من الحيوان له نظير من الذّكر او الانثى، وهكذا من النّبات والمعدن حتّى العناصر فانّ الارض نظيرها المرافق لها هو الماء مثلاً.

وقرئ خلقه فعلاً ماضياً صفة لشيءٍ و المعنى اعطى كلّ شيءٍ من الاعيان الثّابتة و التّعيّنات الظّاهرة فى مقام علمه كلّ مايحتاج اليه من الوجود ولوازمه من الكمالات الاوّليّة اللاّئقة بحال كلّ والكمالات الثّانية ويكون قوله خلقه.

﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ بياناً وتفصيلاً لقوله اعطى كلّ شيءٍ، ومعنى خلقه اعطاه وجوده وكمالاته الاوّليّة، ثمّ هداه بالاراءة، او الايصال الى الطّريق او الى المطلوب الى كمالاته الثّانويّة الاختياريّة فى المختارين، او الاضطراريّة فى المضطرّين.

و التّعبير عن اعطاء الكمالات الثّانويّة بالهدى للاشعار بانّ الوصول الى الكمالات الثّانويّة غير محتوم بل قديكون و قدلايكون، و قداجابه عليه السلام بجوابٍ لايمكنه التّلبيس والتّمويه على الحاضرين فانّه اجابه بعموم الرّبوبيّة الّتى لايمكنه انكاره ولانسبة مثله بالتّمويه الى نفسه كما قال نمرود: أنا أحيي وأميت.

و لذلك بهت ولميحر جواباً بالنّقص والحلّ، وانتقل الى سؤالٍ آخر .

و ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ ماحالهم بحسب البقاء والفناء؟

والخير والشّرّ؟ والنّعمة والنّقمة؟ والمنازل والامكنة؟

اعرض عن السّؤال الاوّل وسأل عمّا يعجزه فى الجواب لانّه

ان كان يجيب ببيان احوالهم يصر عاجزاً عن اقامة دليلٍ عليه يفهمه السّامعون و لهذا أجابه بما لميطالبه فرعون بدليلٍ عليه .

و ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾ يعنى انّ حالهم من الغيب الّذى لايطلع الله احداً الاّ من ارتضاه ولو كنت اعلم منه شيئاً باعلام الله لايمكننى افهامك وافهام امثالك.

﴿فِى كِتَـٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى﴾ هو صفة كتابٍ بتقدير العائد اى لايضلّ عنه وعن طريقه قبل العلم ﴿وَلَا يَنسَى﴾ بعد العلم به او مستأنف جواب لسؤالٍ مقدّرٍ، ولمّااعرض فرعون عن جواب سؤاله الاوّل ولميتعرّض له بالرّدّ والقبول ادّى موسىعليه السلام جواب سؤاله الثّانى بحيث انجرّ الى الجواب الاوّل حتّى اضطّر الى القبول او بهت كما بهت اوّلاً حتّى يظهر عجزه على الحاضرين.

فقال: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ تهتدون بها الى غير بلادكم لتحصيل منافعكم وماتحتاجون اليه، وسبلاً لتحصيل معايشكم من الزّراعات والتّجارات والصّناعات، وسبلاً لتحصيل منافعكم الاخرويّة من الانبياءعليهم السلام وشرائعهم وخلفائهمعليهم السلام.

﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ من جهة العلو ﴿مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ قيل: هو التفات من الغيبة الى التّكلّم وهو صحيح اذا كان المتكلّم هو المتكلّم وليس كذلك، وقيل: هو كلام من الله مربوط

بكلام موسى عليه السلام بان يكون هو من كلام الحاكى مربوطاً بكلام المحكيّ عنه ومثله كثير فى المخاطبات لكن نقول: انّ الرّسول صلى الله عليه وآله حين رسالته وتبليغها قدينسلخ من انانيّته بحيث لايبقى فى وجوده الاّ انانيّة المرسل وحينئذٍ يجوزان يظهر بشأن المرسل ويتكلّم بكلامٍ خاصٍّ بالمرسل بعد ان كان يتكلّم بكلامه من حيث رسالته ويكون الكلامان متّصلين بحيث يظنّ انّهما من واحدٍ فيجوز ان يكون الكلام التفاتاً من الغيبة الى التّكلّم بهذا الاعتبار كأنّه صار الرّسول مرسلاً .

فقال: فاخرجنا به ﴿أَزْوَٰجًا﴾ اى اصنافاً وانواعاً فانّ كلّ صنفٍ و نوع من النّبات له كالحيوان قسمان مثل الذّكر و الانثى من الحيوان، او اطلاق الازواج باعتبار أنّ كلّ صنف من اصناف النّبات له نظير او نظائر من نوعه، او باعتبار انّ كلّ صنفٍ بملاحظة تركّبه من العناصر زوج، او بملاحظة تعيّنه ووجوده زوج ﴿مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ متفرّقة مختلفة فى الشّكل واللّون والزّهر والحبّ والثّمر والمزاج والخاصيّة ووقت النّبت و وقت الحبّ والثّمر وغير ذلك قالين.

﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ﴾ عديدةً دالّةً على علمه تعالى وقدرته وحكمته البالغة وعلى اهتمامه بشأن المواليد الارضيّة ولاسيّما بالاشرف منها وهو الانسان وعلى انّه

لايهمل الانسان بحسب بقائه فى الآخرة الّذى هو المقصود من خلقه فى الدّنيا بدون تهيّة اسباب بقائه وبدون من يدلّه على بقائه ومابه بقاؤه بنحو المرضيّ له وليست الآيات لكلّ الموجودات لانّ بعضهم غنيّ عن اظهار الآيات كالملائكة، وبعضهم لايدركون منها كونها آيات بل للانسان و ليست لكلّ فرقة منه بل.

﴿لِّأُوْلِى ٱلنُّهَىٰ﴾ الّذين حصّلوا بقبول الولاية واتّباع شروط عهده عقلاً يكون مرجعاً ومنتهى لكلّ الاعضاء والجوارح بحسب افعالها، ولكلّ القوى والمدارك بحسب آثارها، وناهياً للكلّ عمّا لاينبغى، ومنتهى لعلوم السّابقين.

و قداشير فى الخبر الى كلّ وعلم من ذلك وجه تسمية هذا العقل بالنّهية، ولايحصل هذا العقل الاّ بالولاية، لانّ من لميتولّ وليّ امره تمكّن الشّيطان من عنقه، ومن تمكّن الشّيطان من عنه لميدعه على حالٍ ولميذره على شأنٍ فلميكن له جهة وحدة يرجع الكلّ اليها فكان كرجلٍ متشاكسٍ فيه رجالٌ والاصل فى الاتّصاف بالنّهى هم الائمّة عليهم السلام ولذلك فسّروا اولى النّهى بانفسهم بطريق الحصر، والفرع فى ذلك شيعتهم وليس لغيرهم منه حظّ ونصيبٌ.

وورد عن النّبيّ صلى الله عليه وآله انّ خياركم اولوالنّهى قيل: يا رسول‌الله ومن اولواالنّهى؟

قال: هم اولواالاخلاق الحسنة والاحلام الرّزينة، وصلة

الارحام والبررة بالامّهات والآباء والمتعاهدون للفقراء والجيران واليتامى و يطعمون الطّعام و يفشون السّلام فى العالم ويصلّون و النّاس نيام غافلون

﴿مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ﴾ اعلم، انّ المخاطب من كلّ مخاطب هو الفعليّة الاخيرة الّتى هى الصّورة الّتى هو بها هو، لاالفعليّة السّابقة الفانية المستهلكة تحت الفعليّة الاخيرة لكنّ الفعليّة الاخيرة بحكم الاحاطة والمعيّة مع كلّ الفعليّات السّابقة كانت متّحدةً.

ويجوز ان يجرى عليها حكم تلك الفعليّات فصحّ ان يخاطب الانسان و يحكم عليه بحكم مادّته الّتى هى مخلوقة من الارض باعتبار غلبة جزئها الارضىّ والاّ فهى مخلوقة من العناصر الاربعة، وخلق مادّة الانسان من الارض وعودها اليها ظاهرٌ.

و خروجها منها بعد عودها اليها باعتبار كونها مادّةً لهذا الانسان خفىّ غير ظاهر، نعم مادّة الانسان تخرج من الارض وتجعل مادّةً لمواليد اخر او لاناسىّ آخرين تاراتٍ اخر بل كرّاتٍ غير متناهية لكن نقول: انّ الانسان له مراتب دانية طبيعيّة ومراتب عالية روحانيّة، والانسانيّة لسعتها واحاطته متّحدة مع الكلّ وصادقة عليها كما انّ القرآن له مصاديق دانية طبيعية ومصاديق عالية روحانيّة.

وانّ المنظور من الانسان كالقرآن هى المصاديق الرّوحانيّة

والمصاديق الطّبيعيّة منظوره بالتّبع وكما انّ المرتبة الطّبيعيّة من الانسان خلقت من الارض الطّبيعيّة كذلك المرتبة البرزخيّة والمثاليّة منه خلقت من التّراب العلّيّينيّ البرزخيّ المثاليّ او السّجّينيّ البرزخيّ.

فصحّ ان يقول الله تعالى، من الارض البرزخيّة او المثاليّة خلقناكم.

﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ بعد موتكم الطّبيعيّ ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ بعد الانتهاء الى الاعراف من البرزخ، وقدورد انّه سئل ابوابراهيم عليه السلام عن الميّت لم يغسّل غسل الجنابة؟

فقال: انّ الله تبارك و تعالى أعلى و أخلص من ان يبعث الاشياء بيده انّ لله تبارك و تعالى ملكين خلاّقين فاذا اراد ان يخلق خلقاً امر اولئك الخلاّقين فأخذوا من التّربة الّتى قال الله عزّ وجلّ فى كتابه: منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارةً اخرى فعجنوها بالنّطفة المسكنة فى الرّحم فاذا عجنت النّطفة بالتّربة قالا: يا ربّ مانخلق؟

قال عليه السلام فيوحى الله تبارك وتعالى مايريد ذكراً او انثى مؤمناً او كافراً اسود او ابيض شقيّاً او سعيداً، فاذا مات سالت عنه تلك النّطفة بعينها لاغير، فمن ثمّ صار الميّت يغسّل غسل الجنابة.

و هذا الخبر يشعر بماذكرناه من التّربة البرزخيّة فانّ التّربة

الّتى تعجن بالنّطفة فى الرّحم او بعد اربعين يوماً من نزولها فى الرّحم ليست الاّ التّربة البرزخيّة فانّ النّطفة لها كيفيّة استعداديّة لحصول الجسد البرزخىّ والمثالىّ فيها.

وبهذا الاستعداد يخلق الانسان الّذى هو امر روحانىّ فيها، ولولا هذا الاستعداد لكان النّطفة غير قابلةٍ للصّورة الانسانيّة ولالروحانيّتها، والموت صفة طارية لبدن الانسان والاّ فجهاته الرّوحانيّة حيّة لايطروها الموت والخارج من بدن الانسان حين موته ليس الاّ روحه واستعداد النّطفة لقبول روحه والتّربة المثاليّة.

فقوله عليه السلام فى الخبر: فاذا مات يعنى اذا مات مرتبة الانسان الطّبيعيّة وقوله: سالت عنه، يعنى عن تلك المرتبة الطّبيعيّة تلك النّطفة يعنى تلك المعجونة بالتّربة البرزخيّة من حيث اعتجانها واستعدادها لامن حيث ارضيّتها الطّبيعيّة.

و قدورد بمضمون هذا الخبر عنهم عليهم السلام ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ﴾ بواسطة موسى عليه السلام ﴿ءَايَٰتِنَا﴾ من جعل العصاحيّةً حيّةً، واليد البيضاء والآيات السّابقة على رسالة موسى عليه السلام من حين ولادته الى خروجه من مصر الدّالّة على علمنا وقدرتنا، وان لامانع من امضاء مقاديرنا، وغلبتنا فى اليقظة و المنام من المعجزات و غيرها ﴿كُلَّهَا﴾ عموم الآيات وتأكيد العموم بالكلّ اضافىّ لاحقيقىّ يعنى الآيات الّتى يمكن اراءتها له ﴿فَكَذَّبَ﴾ موسى عليه السلام او فكذّب الآيات.

﴿وَ أَبَىٰ﴾ من الايمان بنا و برسولنا و زعم انّ موسى عليه السلام مثل ابناء الزّمان طالب للملك الدّاثر.

و ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ﴾ فانّه حمل الآيات على السّحر مثل خوارق العادات الّتى كان السّحرة يأتون بها.

﴿يَـٰمُوسَىٰ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ زمان وعدٍ او مكان وعدٍ او وعداً ﴿لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَ لَآ أَنتَ مَكَانًا﴾ حال عن موعداً او وصف له او بدلٌ عنه بدل الكلّ او الاشتمال، او مفعول اوّل او ثانٍ لاجعل او مفعول فعلٍ محذوفٍ ﴿سُوًى﴾ قرئ بضمّ السّين وكسرها وهما وصفان بمعنى المستوى اى مكاناً يكون المستوى المسافة الينا واليك.

او يكون مستوياً لاتلال فيه ولاوهاد حتّى يكون جميع النّظّار ناظرين الينا واليك من غير حجابٍ ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ وكان ذلك اليوم يوم عيدٍ لهم كانوا يتزيّنون فيه ولذلك سمّى يوم الزّينة، وقرئ يوم الزّينة بالنّصب وانّما وعد ذلك اليوم ليحقّ الحقّ ويبطل الباطل على رؤس الاشهاد بحيث لايخفى على الحاضر والغائب.

ولذلك قال: ﴿وَ أَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾ عطف على الزّينة او على اليوم بتقدير مضافٍ وقرئ مبنيّاً للمفعول ومبنيّاً

للفاعل بصيغة الخطاب او الغيبة.

﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ﴾ عن موسى عليه السلام او الى جمع السّحرة و اسباب السّحر ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾ ما يكاد به من السّحرة و اسباب سحرهم.

﴿ثُمَّ أَتَىٰ﴾ الى الموعد ﴿قَالَ لَهُم﴾ اى لفرعون و قومه او قال للسّحرة ﴿مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ مفعولٌ به بناءً على تجريد الافتراء عن الكذب او مفعول مطلق من غير لفظ الفعل وكأنّهم ادّعوا انّ سحرهم من الله كما قال موسى عليه السلام انّ آياتى من الله او سمّى موسى عليه السلام تفيهم لكون آياته من الله افتراءً على الله بجعل القضيّة السّالبة المدّعاة موجبة معدولة.

كأنّهم قالوا: انّ الله ليس يرسل هذه الآيات ﴿فَيُسْحِتَكُم﴾ قرئ من باب منع ومن باب الافعال اى يستأصلكم ﴿بِعَذَابٍ﴾ عظيمٍ على ان يكون التّنوين للتّهويل.

﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ يعنى خاب عن مأموله فى افترائه كما خاب فرعون عن مأموله الّذى هو بقاء ملكه فى افترائه السّحر، اوخاب عمّا يرجوه فطرة الانسان من المقام مع المقرّبين.

﴿فَتَنَـٰزَعُوٓا۟﴾ اى السّحرة او قوم فرعون او السّحرة وقوم فرعون جمعاً او فرعون وقومه اوفرعون وقومه والسّحرة، او الجميع، او بعضهم مع موسى عليه السلام و هارون عليه السلام فى انّ امرهما سحر او

آلهيٌّ او السّحرة مع موسىعليه‌السلام وهارونعليه‌السلام فى تقديم الالقاء.

﴿أَمْرَهُم﴾ يعلم مرجع هذا الضّمير بالمقايسة ﴿بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ﴾ اى السّحرة بينهم او قوم فرعون بينهم او السّحرة او قوم فرعون ناجوا فرعون واسرّوا النّجوى عن موسىعليه‌السلام وهارونعليه‌السلام او عن آخرين.

﴿قَالُوٓا۟﴾ بيان لاسرّوا النّجوى ولذلك لم‌يأت باداة الوصل ﴿إِنْ هَـٰذَٰنِ لَسَـٰحِرَٰنِ﴾ قرئ‌ان بتشديد النّون و هذان بالالف و عليها.

قيل: انّ بمعنى نعم من غير تقديرٍ، وقيل: بمعنى نعم بتقدير مبتدءٍ بعد اللاّم ليكون دخول اللاّم على المبتدأ، وقيل: انّ ملغاة عن العمل، وقيل: تقديره انّه لهذان بتقدير ضمير الشّأن، وقيل: انّ هذه الالف ليست الف التّثنية وانّما لحق بالف هذا نون التّثنية، وفى الكلّ ضعف من وجهٍ او وجوهٍ.

و قيل: اجرى التّثنية بالالف على لغة من يجرى التّثنية بالالف مطلقاً فانّ القرآن نزل باللّغات المتفرّقة، وقرئ انّ هذان بتخيف نون ان نافية كانت واللاّم بمعنى الاّ او مخفّفة من المثقّلة واللاّم فارقة.

و قرئ‌انّ هذين ولااشكال، وقرئ‌بتشديد نون هذان بجعل تشديد النّون عوضاً عن الالف المحذوفة من هذا، وقرئ‌ماهذان لساحران.

و روى عن بعضهم ان ذان الاّ ساحران ﴿يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم﴾ بالاجلاء او بالاستيلاء عليها والتّملّك لها وقطع تصرّفكم عنها ﴿بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ﴾ اى الفضلى بمحو هذا الّذى انتم عليه ونشر مذهبٍ غير مألوفٍ وغير امثل حتّى يترأّسا على النّاس به.

﴿فَأَجْمِعُواْ﴾ قرئ بقطع الهمزة من باب الافعال وبوصلها اى اجمعوا ﴿كَيْدَكُمْ﴾ المتفرّق فى باب المقابلة مع موسى عليه السلام ﴿ثُمَّ ٱئْتُواْ صَفًّا﴾ فانّ الاتّفاق والاصطفاف فى المناظرة ارعب واشدّ هيبةً فى الانظار، قيل: كانوا سبعين الفاً مع كلّ عصا وحبل.

﴿وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ﴾ وغلب قيل: هذا كان قول فرعون للسّحرة، وقيل قول بعضهم لبعض، او قول قوم فرعون للسّحرة ﴿قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾ خيّروه مراعاةً للادب وحفظاً لتوقيره لمّاعلموا انّه آلهيٌّ وليس فعله سحراً ولذلك قدّموه على انفسهم فى التّخيير، قيل: لهذا الادب والتّوقير هداهم الله ولميكلهم الى انفسهم.

﴿قَالَ مُوسَىٰ بَلْ أَلْقُواْ﴾ فانّه عليه السلام لميكترث بما فعلوا وقال القوا حتّى يلقوا ويؤتوا بغاية جهدهم ليظهر على الكلّ غلبته اتّكالاً على ربّه.

﴿فَأَلْقُوْاْ﴾ ماصنعوا، وقيل: كانوا قدملأوا الميدان وكان اوسع

مايكون من الاعمدة والحبال ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ قرئ يخيّل بياء الغيبة مبنيّاً للمفعول وبتاء التّأنيث مبنيّاً للفاعل.

﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾ ورد انّه لم‌يخف على نفسه وانّما خاف على مغلوبيّته وغلبة الباطل، والايجاس احساس امرٍ خفيٍّ كأنّه اشار بلفظ الايجاس الى خفاء الخيفة بحيث لم‌يظهر على غيره، ولمّا كان الكامل هو الّذى كمل فى جميع مراتبه.

وكمال المرتبة البشريّة ان يأكل ويشرب وينكح ويصحّ ويمرض ويرجو ويخاف لم‌يكن خيفة موسى عليه السلام دالّةً على نقصٍ ينا فى مقام رسالته الكاملة.

﴿قُلْنَا﴾ بطريق الوحى ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ اكّد الجملة بمؤكّداتٍ لانّ خوفه عليه السلام كان بمنزلة الشّكّ ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ اى العصا ﴿تَلْقَفْ﴾ قرئ بالجزم وبالرّفع، وقرئ من الثّلاثيّ المجرّد، و من باب التّفعيل، ومن باب التّفعّل بادغام تاء المضارع فى تاء المطاوعة، ولقف من باب علم ولقّف من التّفعيل وتلقّف من التّفعّل بمعنى بلع، و استعمل لقّف من التّفعيل فى الابلاع.

و يجوزان يكون تلقّف خطاباً لموسى عليه السلام وان يكون منسوباً الى الضّمير المؤنّث الرّاجع الى العصا يعنى تبلّع ﴿مَا صَنَعُوٓاْ﴾ بالحيل الطّبيعيّة من التّصرّفات الطّبيعيّة او بالحيل الشّيطانيّة من

تمزيج القوى الرّوحانيّة مع القوى الطّبيعيّة وترتيب آثارٍ خارقة للعادة عليه.

و قد مضى في سورة البقرة عند قوله تعالى: يعلّمون النّاس تحقيق وتفصيل تامّ للسّحر ومعانيه.

﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَٰحِرٍ﴾ وقرئ كيد سحرٍ بدون الالف ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ يعني وان بلغ المقامات العالية من سحره.

﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾ يعني لمّاالقى موسىعليه السلام عصاه فلقفت جميع ماصنعوا وادارت حول قبّة فرعون واحاطت بفكّيها قبّته واحدث فرعون وهامان كما سنذكر، ورأوا انّ ذلك ليس الاّ آلهيّاً اضطربوا والتجأوا ولم‌يتمالكوا كأنّهم القاهم ملقٍ فالقوا سجّداً تعظيماًلله و تفخيماً لمارأوا.

﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ كأنّهم من دهشتهم وتحيّر قلوبهم لم‌يمكنهم مراعاة الادب والرّتبة فقدّموا هارونعليه السلام على موسىعليه السلام لذلك، ولمراعاة رؤس الآي ولم‌يستأذنوا فرعون وآمنوا قبل ان يقولوا له انّه لحقّ ولايجوز انكاره.

ولذلك ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾ قرئ‌بهمزةٍ واحدةٍ على صورة الاخبار، وقرئ‌بهمزتين على الاستفهام الانكاريّ ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ﴾ رئيسكم ومعلّمكم في هذا الفنّ وكنتم

مطّلعين عليه وتواطئتم على ذلك ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ نقل انّهم ايقنوا قبل هذا بانّ موسىعليه السلام آلهيّ لكنّهم ارادوا بذلك ظهوره على رؤس الاشهاد.

﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ﴾ اليد اليمنى والرّجل اليسرى او بالعكس ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ جمع الجذع وهو اصل الشّجرة او اصل اغصانها.

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ﴾ يعني ايّ منّا ومن موسىعليه السلام، او منّي ومن ربّ موسىعليه السلام ﴿أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾ المعجزات الواضحات والدّلائل الظّاهرات.

﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا﴾ عطف او قسّم ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ فامض ايّ شيءٍ تريد امضاءه من القتل والقطع والصّلب والحبس، اوفاحكم ماتريد من الاحكام لانّا لانبالى بعد ماارنا ربّنا مقامنا وحجّتنا، قيل: انّهم حين سجدوا اراهم الله منازلهم فى الجنّة.

﴿إِنَّمَا تَقْضِى هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾ انّما تصنع او تحكم فى هذه الحيوة الدّنيا ولاصنع لك لاحكم فى الحيوة الآخرة، والحيوة الآخرة هى المطلوبة الباقية لاالدّنيا.

او هذه الحيوة الدّنيا مفعول به والمعنى انّما تمضى وتذهب هذه الحيوة الدّنيا، والآخرة خيرٌ وابقى وقداخترنا الآخرة على الدّنيا ولاتسلّط لك عليها.

﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا﴾ استيناف فى مقام التّعليل لقوله لن نؤثرك ﴿لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَـٰيَـٰنَا﴾ الماضية ﴿وَ﴾ الخطيئة الحاضرة الّتى هى ﴿مَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ﴾ فى معارضة الآيات الآلهيّة، روى انّهم قالوا لفرعون:

ارنا موسى عليه السلام نائماً فوجدوه يحرسه العصا.

فقالوا: ماهذا بسحرٍ فانّ السّاحر اذا نام بطل سحره فأبى فرعون الاّ ان يعارضوه ﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ منك او من الحيوة الدّنيا .

او المقصود انّ الله خيرٌ منك ثواباً وابقى منك عقاباً، ويدلّ عليه قولهم فى مقام التّعليل ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا﴾ وعلى الاوّل يكون تعليلاً لقوله انّا آمنّا بربّنا ﴿فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ هذه العبارة صارت مثلاً فى العرب و العجم لمن ابتلى ببليّةٍ عظيمةٍ لايكون له مخلص عنها.

والمقصود من هذا المثل انّه لايموت عن الحيوة لانسانيّة حتّى يصير العذاب عذباً له، ولايحيى بالحيوة الانسانيّة حيوةً خالصةً عن شوائب الظّلمات الشّيطانيّة فيخرج منها.

﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَـٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾ الاتيان باسم الاشارة البعيدة للتّفخيم ﴿جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ قدمضى مكرّراً انّ

المراد بجريان الانهار تحت الجنّات جريانها تحت عماراتها او تحت اشجارها او تحت قطعها.

وانّ التّحقيق انّ الوجود وصفاتها بمنزلة الانهار الجارية من الغيب الى عوالم الامكان وانّ كلّ مرتبةٍ عالية من العالم باعتبارٍ جنّة وباعتبارٍ محلّ للجنّة.

وانّ افاضات الحقّ الّتى هى بمنزلة الانهار تصل اوّلاً الى العالم الاعلى وتفيض من تحت ذلك العالم الى العالم الادنى.

﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ من الكفر والمعاصى وممّا يشوب انسانيّته من شوائب البهيميّة والسّبعيّة والشّيطانيّة، ولاقبال نفوسهم على الآخرة ونعيمها وقوّة جانب الرّجاء بسطوا فى جانب الوعد.

ويجوز ان يكون الآيات مستأنفة من الله تعالى.

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ﴾ يعنى بعد ما مكث فيهم اربعين سنة او اكثر يدعوهم الى الله ويظهرلهم الآيات ويزيد فى طغيانهم اوحينا اليه.

﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى﴾ بنى‌اسرائيل من مصر على طرف البحر ﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ﴾ اى فاطلب من ضرب المجد كسبه وطلبه، او فاضرب بعصاك البحر يظهر لهم ﴿طَرِيقًا﴾ اى طرقاً بارادة الجنس من الطّريق دون الوحدة، فانّ الطّرق الظّاهرة كانت اثنى عشرةً او

طريقاً منشعباً باثنتى عشرة شعبته.

﴿فِي ٱلْبَحْرِ يَبَسًا﴾ وهذا التّقدير اوفق بقوله تعالى فى الشّعراء فأوحينا الى موسىعليه‌السلام ان اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كلّ فرق كالطّود العظيم ﴿لَّا تَخَـٰفُ﴾ حال او مستأنف او صفة ثانية لطريقاً اى طريقاً لاتخاف فيه ﴿دَرَكًا﴾ ولحوقاً من العدوّ او من الغرق.

﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾ تأكيد لاتخاف، او المراد لاتخشى من العدوّ او الغرق غير مااريد من لاتخاف حتّى يكون تأسيساً.

او المعنى لاتخاف ممّا يصدمكم ولاتخشى على اصحابك فانّ الخشية تكون متعلّقة بمن يشفق عليه ويهتمّ بأمره كما انّ الخوف يكون ممّن يهرب عنه.

وقرئ لاتخف بالجزم ولاتخشى بالالف، وحينئذٍ يكون لاتخف مجزوماً جواب الامر، او حالاً من فاعل اوحينا او عن فاعل اضرب بتقدير القول.

ولاتخشى يكون مجزوماً معطوفاً عليه ويكون الالف للاطلاق مثل قوله تعالى: وتظنّون بالله الظّنونا، او يكون مستأنفاً او حالاً بتقدير مبتدءٍ ﴿فَأَتْبَعَهُمْ﴾ اى ادركهم.

﴿فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ﴾ مع جنوده، او لفظ الباء للتّعدية، او الهمزة للتّعدية والمعنى اتبعهم فرعون نفسه مع جنوده فانّ اتبع

استعمل لازماً ومتعدّياً.

وقرئ اتبعهم من باب الافتعال وحينئذٍ يكون الباء بمعنى مع او للتّعدية وفى الكلام ايجاز فى وضوح.

فانّ المعنى فأسرى موسى عليه السلام بنى اسرائيل ووصل الى البحر وضرب بعصاه البحر فأظهر لهم طريقاً يبساً فدخل هو وقومه ولحقهم فرعون بجنوده فدخل البحر فلمّا كان آخر من خرج من بنى اسرائيل من البحر وآخر من دخل البحر من جنود فرعون انطبق الطّرق.

﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ اى غشيهم ماء لايمكن ان يعرّف من عظمته، وقرئ فغشّاهم ماغشّاهم من باب التّفعيل اى غشّاهم الله او غشّاهم فرعون ماغشّاهم من الماء.

﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ﴾ عطف ماهدى للتّأكيد والاشعار بانّ الاضلال كان مستمرّاً له وماتغيّر والمقصود انّه اضلّهم عن الحقّ او اضلّهم فى البحر وهو ردّ على قول فرعون وماهديكم الاّ سبيل الرّشاد.

روى انّ جبرئيل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وآله انّما قال فرعون لقومه انا ربّكم الاعلى حين انتهى الى البحر فرآه قديبست فيه الطّريق فقال لقومه ترون البحر قديبس من فرقى فصدّقوه لمّاراوا ذلك قوله تعالى فأضلّ فرعون قومه وماهدى.

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ مربوطٌ بسابقه جواب لسؤالٍ مقدّرٍ بتقدير القول وحكاية لماقاله تعالى لهم بعد انجائهم كأنّه قيل: فما فعل بهم بعد غرق فرعون وقومه؟ وماقال الله تعالى لهم؟

فقال: قال لهم: يا بنى‌اسرائيل، او منقطع عن سابقه واستيناف وخطاب منه تعالى للحاضرين منهم فى زمان الرّسول صلى الله عليه وآله.

﴿قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ﴾ باغراق فرعون ﴿وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ﴾ لمناجاة موسى عليه السلام وانزال التّوراة فانّه تعالى اخبر موسى عليه السلام ووعده التّوراة فى بيان شرائعهم واحكامهم ووعد موسى عليه السلام قومه فعدّ تعالى وعد موسى عليه السلام وعدهم.

او المقصود واعدنا جانب الطّور الّذى هو الصّدر المنشرح بالاسلام جانبه الايمن الّذى يلى القلب بشرط وفائكم بشروط عهدكم وميثاق بيعتكم.

﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ﴾ فى التّيه وقدمضى هذه بالتّفصيل فى اوّل البقرة .

وقرئ الافعال الثّلاثة بالمتكلّم وحده قائلين ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ﴾ طغى يطغى من باب علم، وطغى يطغو من نصر، وطغى يطغى من منع جاوز القدر، وارتفع وعلا فى الكفر، و اسرف فى المعاصى والظّلم.

وكلّ المعانى راجعة الى الخروج من انقياد العقل الخارجيّ او

الدّاخلى ومعنى لاتطغوا فيه لاتتجاوزوا فى مارزقناكم عمّا حدّه الله من مقدار الاكل وجهة تحصيل المأكول وآداب الاكل وغاياته والتّسمية عليه والشّكر عليه من ملاحظة المنعم فى النّعمة.

او لاتسرفوا بكثرة الوان المأكول او كثرة الأكل او اطعام غير الاهل منه، او بغير ذكر الله، او لاتطغوا فى الاكل بان يكون الضّمير راجعاً الى الاكل الّذى فى ضمن كلوا.

او لاتطغوا بسبب الاكل، او بسبب مارزقناكم، او لاتطغوا حالكونكم ثابتين فى بين مارزقناكم، او فى الاكل.

﴿فَيَحِلَّ﴾ قرئ بضمّ الحاء وكسرها كما قرئ يحلل بضمّ اللاّم الاولى وبكسرها؛﴿عَلَيْكُمْ غَضَبِى وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾ تردّى وهلك، او سقط من سماء الانسانيّة الى الارض السّابعة الّتى هى دار الجنّة والاشقياء.

اعلم، انّ الله تبارك وتعالى لاينتقل من حالٍ الى حالٍ ولايتغيّر فى وصفٍ ولاحالٍ بل هو تعالى صرف الرّحمة وبرحمته اوجد كلّ الموجودات وأبقاها وليس شيءٌ الاّ وهو متقوّم ومتحقّق برحمته الرّحمانيّة وهذه الرّحمة فى اكثر الموجودات تظهر بحيث تكون موافقةً لفطرة نوعها سوى الانسان و الجانّ .

فانّ الانسان لكونه مجمع العوالم وفيه انموذج جميع الموجودات بنصّ علّم آدم الاسماء كلّها قدتصير تلك الرّحمة فى

وجوده مخالفة الانسانيّة وصورة نوعه لانّ قوى جميع الموجودات مودعة فى الانسان بحيث اذا خرجت قوّة منها الى الفعل كانت مسخّرة لانسانيّة الانسان فاذا صارت فعليّة من تلك الفعليّات مقابلة للانسانيّة او مسخّرة لها كانت مخالفة لها ومخالفة لخلقتها، واذا صارت مسخّرة للانسانيّة كانت موافقة لها وموافقة لخلقتها.

وتلك المخالفة والموافقة كلتا هما ظهور الرّحمة الرّحمانيّة و صورتاها؛ فالغضب والرّضا المعبّر عنه بالرّحمة الرّحيميّة من طوارى فعله لامن صفات ذاته وطروّهما لفعله من جهت القابل لامن جهة الفاعل من دون مدخليّة القابل .

﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ﴾ عطف على كلوا بجعله فى جملة مقول القول المقدّر او على قد انجيناكم او حال من واحدة من الجمل السّابقة واجزائه يعنى قلنا قد انجيناكم و قلنا انّى لغفّار ﴿لِّمَن تَابَ﴾ على ايدى خلفائنا بالانزجار عن النّفس و مشتهياتها.

﴿وَ ءَامَنَ﴾ بالبيعة العامّة النّبويّة الّتى هى الاسلام ﴿وَ عَمِلَ صَـٰلِحًا﴾ موافقاً لامر من باع على يده البيعة العامّة.

﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾الى ولاية ولىّ امره بالبيعة الخاصّة الولويّة.

والمعنى انّى لغفّار لمن تاب التّوبة الخاصّة الولويّة على يد ولىّ امره بالانزجار عن الوقوف على ظاهر الاحكام القالبيّة وطلب بواطنها وانموذج معانيها وآمن بالبيعة الخاصّة الولويّة وعمل

فرج القائم(عج) موجب لظهور المغفرة التّامّة

صالحاً موافقاً لشروط بيعته ثمّ اهتدى الى ظهور الامام عجّل الله فرجه وبروز ملكوته على صدره ودخوله فى بيت قلبه.

فانّه ما لم‌يظهر القائم عجّل‌الله فرجه لم‌يظهر المغفرة التّامّة، و ورود فى اخبارٍ كثيرة بالفاظٍ مختلفةٍ ومتوافقةٍ انّ المراد الاهتداء الى الولاية، وانّه لاينفع عمل بدون الولاية.

وانّ العبد لو اجهد نفسه فى عبادة ربّه بين الرّكن والمقام حتّى يصير كالّشنّ البالى ماقبل الله منه او لأكّبه الله على منخريه فى النّار.

وفى اخبارٍ كثيرٍ انّ الاسلام بنى على خمسٍ واسناها واشرفها الولاية.

وانّ الله فرض على خلقه خمساً فرخّص فى اربعٍ مشيراً الى الصّلوة والزّكوة والحجّ والصّوم ولم‌يرخّص فى واحدٍ مشيراً الى الولاية.

و فى خبر عدّ انتظار القائم عجّل الله فرجه من اركان الدّين.

والاخبار الدّالّة على انّ الاسلام غير الايمان وانّ الاسلام لايتجاوز زاثره عن الدّنيا وانّ منفعته حفظ الدّم والعرض وجواز التّناكح والتّوارث وانّ الاجر على الايمان تدلّ على انّ ملاك الامر لامر الآخرة هو الولاية لاغير.

وقوله تعالى: ولمّايدخل الايمان فى قلوبكم؛ يدلّ على انّ

الايمان الّذى هو الولاية الّتى هى البيعة الخاصّة الولويّة و قبول الدّعوة الباطنة بها يدخل كيفيّة ممّن يبايع معه فى قلب البائع بها يصير البائع ابناً لمن بايع معه، بها يستحقّ الكرامة عند الله، وبها لايضرّه سيّئة ولو اتى بذنوب الثّقلين، بها يستحيى الله ان يعذّبه ولو كان فاجراً، بدونها لايستحيى ان يعذّبه ولو كان فى اعماله بارّاً، بها يرث منازل اهل النّار ويؤخذ طينته السّجينيّة مع اعماله السّيّئة الّتى هى من لوازم الطّينة السّجّينيّة وتعطى لعدوّه ويؤخذ طينة عدوّه العلّيّينيّة مع اعماله الحسنة اللاّزمة لطينته العلّيّينيّة وتعطى له، وبها يصدق عليه العلوىّ والفاطمىّ والهاشمىّ والعالم والمتعلّم والعارف والمؤمن والعابد والمتّقى وبها يسمّى وليّاً لله.

وفى خبر ضلّ اصحاب الثّلاثة وتاهو اتيهاً عظيماً مشيراً الى التّوبة العامّة و البيعة العامّة الاسلاميّة والاعمال الصّالحة القالبيّة والاخبار الدّالّة على انّ: من مات و لميعرف امام زمانه مات ميتةً جاهليةً، تدلّ على انّ البيعة العامّة بدون الاهتداء الى الولاية لاتنفعه فى الآخرة.

و فى خبرٍ: من اصبح من هذه الامّة لاامام له من الله ظاهر عادل اصبح ضالاًّ تائهاً، وان مات على هذه الحالة مات ميتة كفرٍ و نفاقٍ، و هو ايضاً يدلّ على انّ الاسلام و احكامها لايكفى فى النّجاة بدون الاهتداء الى الامام الظّاهر العادل و البيعة معه البيعة الخاصّة،

و الاخبار الدّالّة على انّ الحجّة لاتقوم على النّاس الاّ بامامٍ حيٍّ يعرف، تدلّ على لزوم الاهتداء الى الامام.

و الآيات الدّالّة على لزوم الكون مع الصّادقبن ولزوم ابتغاء الوسيلة الى الله ولزوم الاقتداء وكون الرّسالة ليست الاّ الانذار والهداية للولاية والاخبار الدّالّة على انّ المعرفة والعبادة والعلم لاتكون الاّ بالائمّة عليهم السلام.

و انّ الولاية هي دليل المعرفة، وانّ الرّسالة واحكامها حجاب الله تدلّ على لزوم الاهتداء الى الامام عليه السلام، والاخبار الدّالّة على وجوب النّفر بعد وفاة الامام عليه السلام وانّ النّافرين فى عذرٍ ماداموا فى الطلب، والمنتظرين فى عذرٍ ماداموا فى الانتظار تثبت المدّعى، و الاخبار الدّالّة على منع التّفسير بالرّأى ومنع العمل بالرّأى ومنع ومنع الرّأى و القياس ترشد اليه .

﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ﴾ عطف على قوله تعالى: يا بنى اسرائيل فانّه على كونه حكاية قوله تعالى الماضى كان بتقدير القول كأنّه قال: قلنا يا بنى اسرائيل، وقلنا مااعجلك، او عطف على كلوا سواء كان النداء الاوّل للماضين او للحاضرين كأنّه قال: انجينا كم من عدوّكم قائلين كلوا.

وقائلين مااعجلك ﴿عَن قَوْمِكَ يَـٰمُوسَىٰ﴾ قيل: كانت المواعدة ان يوافى الميعاد هو وقومه، وقيل: مع جماعةٍ من وجوه

قومه فتعجّل هو وسبقهم الى الميقات وهم كانوا على اثره جائين الى الميقات .

و هذا موافق لظاهر قوله: ﴿قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى﴾ او كان المواعدة ان يوافق هو وقومه وسبقهم موسىعليه السلام وخلّف عليهم هارونعليه السلام فتخلّف القوم من اوّل الامر عن اللّحوق بـه، او المـعنى ماعجلك الى الميقات مفارقاً عن قومك ومتجاوزاً عنهم فانّ بقاءك بينهم وتوجّهك اليهم يحفظهم من شرّ الشّيطان ويبقيهم على الدّين، ورفعك يدك عنهم يخلّ بهم ويفسدهم.

و على هذا كان معنى قوله تعالى: قال هم اولاء على اثرى هم باقون على سنّتى و كأنّهعليه السلام خرج من غير تعيين الله وقتاً للميعاد و لمينتظرعليه السلام تعيين الله فلامه تعالى وانكر عليه تعجيله ورفع يده عن قومه فى غير وقته فأجابعليه السلام عن رفع يده عنهم بانّهم باقون على سنّته او جاؤون على عقبه يعنى ماعليهم من بأسٍ من رفع يده عنهم خصوصاً مع استخلاف هارون عليهم.

و قدّم الجواب عن خروجه من بين القوم لانّ النّبىّ شأنـه الاهتمام بأمر القوم ومراقبة احوالهم، ورفع اليد عنهم والخروج من بينهم خلاف شأن نبوّته، واللّوم عليه فيه اشدّ من كلّ شيءٍ و اجاب عن عجلته بانّ العجلة كانت للشّوق الى رضا ربّه لامن غمّ الوقوف فى قومه ومن هوى نفسه بطلب كونها مرضيّةً عـند ربّـه والاوّل

مرضیّ للربّ مقبول.

و الثّانيان مبغوضان غير مقبولين فقال ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ قَالَ﴾ الله تعالى ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ﴾ ای من بعد خروجك من بينهم يعنى صار عجلتك سبباً لفتنة قومك باستحقاقهم لذلك باختيارهم الغواية لعدم كونك فيهم وعدم بقاء حافظيّتك لهم و قدمضى فى سورة البقرة و سورةالاعراف حكايتهم و حكاية السّامریّ و عجله.

في اضلالهم السّامری بعد موسى عليه السلام

﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ يعنى اضللناهم بسبب السّامریّ لكنّه اسنده الى السّامریّ للاشعار بصحّة نسبة الاضلال الى السّبب مثل صحّة نسبته الى الفاعل و لانّه افاد بنسبة الفتنة الى نفسه نسبة الاضلال الى نفسه.

﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾ و انّما غضب لله لانحرافهم عن الله و تحسّر عليهم لابطالهم يضاعتهم الّتى هى الايمان لانّ كلّ نبیٍّ اب شفيق لامّته والامّة اولاد اعزّاء عليه وايمانهم بمنزلة الصّحّة الكاملة لهم، و نقصان ايمانهم و بطلانه بمنزلة المرض والهلاكة وحال النّبى فى الصّحّة والمرض والهلاكة لامّته حال الاب الشّفيق بالنّسبة الى اولاده بل اشدّ منه بمراتب عديدة.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ﴾ اشفاقاً عليهم: ﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ بان اخبرتكم بوعده و انّه وعدنى اعطاء التّوراة الّتى فيها

جميع ماتحتاجون اليه ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ﴾ المراد بالعهد الوعد المذكور اى افطال مدّة الوعد؟

او المراد به عهد الملاقاة اى افطال عليكم فراق العهد؟ فأسقط الفراق لوجود القرينة ﴿أَمْ أَرَدتُّمْ﴾ بل ليس الامر كذلك واردتم ﴿أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ استعمال الارادة فى مالايراد اصلاً اشعار بانّ اعمالكم آثار ارادة مالايريده عاقلٌ وكناية عن عدم العقل و الشّعور.

﴿فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى﴾ الاخلاف فى المستقبل كالكذب فى الماضى و المعنى اخلفتم عن الطّور الّذى كان موعدى وموعدكم، على ان يكون القوم اجمعهم او وجوههم وعدوه اللّحوق به فى الطّور كما مضى فى معنى هم اولاء على اثرى.

او المعنى اخلفتم وعدكم لى باللّحوق بى، او بالثّبات على الدّين واتّباع هارون، او بحسن الخلافة لى بعدى حتّى ارجع اليكم.

﴿قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾ قرئ بفتح الميم وضمّها وكسرها والثّلاثة مصادر ملك يعنى لو خلّينا و مالكيّتنا و اختيارنا لما اخلفنا لكنّ السّامرىّ بتسويله اخذ منّا تملّكنا و اختيارنا.

﴿وَلَـٰكِنَّا حُمِّلْنَآ﴾ قرئ بضمّ الحاء وتشديد الميم و فتحها وتخفيف الميم ﴿أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾ يعنى حمّلنا اثقالاً هى

بعض من حلیّ القبط الّتی استعرناها للعرس او للعید ثمّ خرجنا من دون ردّها او اخذناها ممّا القاه البحر علی السّاحل بعد غرقهم.

او حمّلنا اثقالاً وآثاماً لاجل حلیّ القوم الّتی اعرناها وخنّا فی عدم ردّها فخذ عنا بسبب الخیانة عن ادیاننا فسألنا السّامریّ ان نقذفها فی النّار لیصنع لنا آلهاً.

﴿فَقَذَفْنَـٰهَا فَكَذَٰلِكَ﴾ ای مثل القائنا الحلیّ فی النّار ﴿أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ﴾ مامعه لنظنّ انّه منّا، او کذلك القی السّامریّ قبلنا لنتبّعه فاتّبعناه، والقینا.

و قیل: انّه کلام من الله معطوف علی کلامهم و یؤیّده قوله تعالی ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَدًا﴾ فانّه لو کان من کلامهم لکان ینبغی ان یقولوا فأخرج لنا، او هو من کلامهم و قوله: فأخرج لهم عجلاً جسداً من کلام الله، وفی ابدال جسداً اشعار بانّ العجل لم‌یکن عجلاً حقیقة بل کان جسداً مثل جسد العجل بلاروح ﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ ای صوت البقر ﴿فَقَالُواْ﴾ ای السّامریّ ومن کان شریکه ﴿هَـٰذَآ﴾ العجل ﴿إِلَـٰهُكُمْ وَإِلَـٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ﴾ عطف علی هذا آلهکم ومن کلام السّامریّ وشرکائه ای نسی موسی انّه آلهه وآلهکم وذهب یطلب الآله.

او نسیه هیهنا و ذهب یطلبه فی موضعٍ آخر، او نسی الآله انّه وعد موسی علیه السلام ان یظهر علیه من الشّجرة فی الطّور وظهر ههنا من العجل.

او هو من قول الله ومعطوف على قالوا، او اخراج لهم عجلاً و المعنى نسى السّامرىّ ايمانه بموسىعليه السلام او دلائل نبوّة موسىعليه السلام و آلهيّة الا له، او نسى دلالة حدوث العجل على انّه مصنوع غير معبود.

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ﴾ استفهام للتّوبيخ على عبدة العجل يعنى الاّ يتفكّرون فلايرون ﴿أَلَّا يَرْجِعُ﴾ اى انّه لايرجع ﴿إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ وجواباً ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ قيل: انّ السّامرىّ بعد مامضى من ذهاب موسىعليه السلام عشرون يوماً قال: هذه الاربعون الّتى وعدكم موسىعليه السلام عشرون ليلاً و عشرون يوماً و أخطأ موسىعليه السلام و لم‌يرجع اليكم و خدعهم.

و قيل: لمّا تأخّر عن الثّلاثين خدعهم لانّه كان موعده الثّلاثين، و قيل: انّه بعد ما مضى من ذهابه خمسة و ثلاثون خدعهم وصنع لهم العجل فى السّادس و الثّلاثين و السّابع و الثّامن و دعاهم الى عبادته فى التّاسع و جاء موسىعليه السلام بعد استكمال الاربعين.

و قيل: كان السّامرىّ من اهل كرمان و كان مطاعاً فى بنى‌اسرائيل.

وقيل: كان من قرية يعبدون البقر فكان حبّ ذلك فى قلبه، وقيل: كان من بنى‌اسرائيل فلمّا جاوز البحر نافق فلمّا قالوا: اجعل لنا

الهاً كما لهم آلهة اغتنمها و اخرج لهم العجل و دعاهم اليه.

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَـٰرُونُ مِن قَبْلُ﴾ اى من قبل عود موسى عليه السلام اليهم، او من قبل دعوة السّامرىّ الى عبادته حين ظهوره، او من قبل عبادتهم له بعد دعوة السّامرىّ ﴿يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ﴾ الفتن الاحراق، و الفتنة الاختبار، والاعجاب بالشّيء، والضّلال، والاثم، والكفر، والفضيحة، والعذاب، واذابة الذّهب، والاضلال، والجنون، والمحنة، و الايقاع فى الاختلاف، والايقاع فى الفتنة.

والكلّ مناسب ههنا الاّ انّه لابدّ فى بعض المعانى من جعل الماضى بمعنى المستقبل.

﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ﴾ الّذى يستحقّ العبادة ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ﴾ الّذى قوام كلّ شيءٍ و وجوده و بقاؤه و وجود مايحتاج اليه به ﴿فَاتَّبِعُونِى﴾ كما استخلفنى عليكم موسى عليه السلام ﴿وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِى﴾ فانّى من جانب هذا الرّحمن ادعوكم و آمركم و المقصود اعتبار مفهوم المخالفة من تعليق الفعل على المفعول الخاصّ بقرينة المقام كأنّه قال: فاتّبعونى لاالسّامرىّ واطيعوا امرى لا امر السّامرىّ.

﴿قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَـٰكِفِينَ﴾ اى ثابتين على العجل يعنى على عبادته ﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ فننظر انّ هذا هو آلهه كما قال لنا السّامرىّ، او ليس هذا آلهه و قدكذب لنا السّامرىّ،

و كان هارون عليه السلام بعد مانصحهم و لم‌يقبلوا منه قد اعتزلهم فى اثنى عشر الفٍ رجع موسى عليه السلام وسمع الصّياح منهم اذ كانوا يرقصون حول العجل ويضربون الدّفوف و المزامير واستقبله هارون عليه السلام القى الالواح من شدّة الغيظ و عاتب هارون واخذ برأسه و لحيته كما فى الآية يجرّه اليه و ﴿ قَالَ يَاهَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا۟ اَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ من ان تتّبعنى و لفظة لا مزيدة نظيرة ما منعك ان لا تسجد يعنى مامنعك من اتّباعى فى البغض فى الله والمقاتلة مع عابدى العجل بعد ان لم‌يقبلوا نصحك او من اللّحوق بى والمفارقة عنهم.

﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴾ لك بالخلافة و الاصلاح و عدم اتّباع سبيل المفسدين، و لمّا كان موسى عليه السلام اخذه البغض فى الله و لم‌يكن الباقون قابلين للومه عليه السلام و عتابه عليه السلام توجّه الى هارون عليه السلام وعاتبه على فعل القوم وفى الحقيقة عتابه كان عتاباً لهم فانّ لومه عليه السلام هارون عليه السلام على عدم مفارقتهم لومٌ وتغييرٌ لهم على حالهم الّتى تستدعى الخروج من بينهم.

﴿قَالَ﴾ هارون عليه السلام ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾ كان اخاه لامّه و ابيه لكنّه اضافه الى الامّ استعطافاً.

﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىَ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ﴾ ان كنت لحقت بك او قاتلتهم ﴿فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَآءِيلَ﴾ يعنى

لوكنت فارقتهم او قاتلتهم لتفرّقوا باللّحوق بى والبقاء على عبادة العجل.

﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ بالخلافة والاصلاح، ولمّاسكت عنه الغضب وكسر سورته باستعطاف هارون عليه السلام و الاعتذار عمّا رآه موسى عليه السلام خلافاً اقبل على السّامرىّ و ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَـٰسَـٰمِرِيُّ﴾ اى ماصنعك؟ و كيف صنعته؟

فهو سؤال عن كيفيّة صنعه و لذلك اجابه بها و ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ﴾ من اجزاء الملكوت او الملك المحكوم بالملكوت ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ يعنى انّى بصرت بجبرئيل و عالمه فقبضت قبضةً من عالمه الّذى هو الملكوت من تراب قدم جبرئيل او من تراب قدم رمكة [1] جبرئيل من عالم الملكوت او من عالم الملك لكنّه صار بعد التّأثّر بقدم جبرئيل او قدم رمكته محكوماً بحكم الملكوت و كان تأثيره ان يحيى ويتحرّك كلّ ماذرّ ذلك التّراب عليه.

﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ فى العجل فتحرّك وخار ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ اى مثل القبض من اثر الرّسول والحال انّه لاينبغى لى ان اقبض وسوّلت لى نفس ذلك حتّى قبضتها ﴿سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ فى صنع العجل و ذرّ التّراب عليه و زينته لى.

---

۱ - الرمكه = الفرس ـ الانثى من البراذين.

﴿قَالَ﴾ اذا سوّلت لك نفسك ﴿فَاذْهَبْ﴾ من عندى، او من دينى، او من البلد، او من بين النّاس ﴿فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ﴾ الدّنيا ﴿أَن تَقُولَ﴾ اذا رأيت احداً من النّاس ﴿لَا مِسَاسَ﴾ عقوبةً على فعلك و ذلك لانّه اذا ماسّك احد حممت انت و من مسّك كما قيل.

و قيل: كان هذا باقياً فى اولاده اذا ماسّ واحداً منهم احد من النّاس حمّا.

و قيل: انّ موسىعليه السلام امر النّاس بامرالله تعالى ان لايخالطوه و لايؤانسوه و لايؤاكلوه تضييقاً عليه فصار السّامرىّ يهيم فى البرّيّة مع الوحش و السّباع ﴿وَإِنَّ لَكَ﴾ اى لعذابك ﴿مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾ يعنى لن يخلف الله ذلك الوعد لك.

هذا على قراءة البناء للمفعول و امّا على قراءة البناء للفاعل من باب الافعال فالمعنى لن تخلف انت ذلك الموعد و تنجزه، و قرئ بالنّون على حكاية قول الله تعالى، او على جعل نفسهعليه السلام بمنزلة الله تعالى لكونه رسولاً منه و كون قوله و فعله قول الله و فعله.

﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ اى مقيماً على عبادته ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ قرئ من باب التّفعيل بمعنى احراقه بالنّار، وقرئ لنحرقنّه من حرقه يحرقه من باب نصر بمعنى برده و حكّ بعضه ببعضٍ وعلى الاوّل يدلّ الاحراق على انّه صار حيواناً

كما روى انّه بعد ماذرّ التّراب عليه تحرّك واشعروا وبروخار.

و على الثّانى يدلّ برده على انّه كان باقياً على ذهبيّته ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ﴾ لنذرينّه ﴿فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا إِنَّمَآ إِلَـٰهُكُمُ ٱللَّهُ﴾ مستأنفة جواب للسّؤال عن علّة الحكم و المعنى نحرقه لانّه ليس آلهاً و انّما آلهكم الله اى المسمّى بالله الدّائر على السنة الجميع ﴿ٱلَّـذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ و هو صفة بيانيّة و تصريح بحصر الالهة فيه و نفى الالهة من غيره.

﴿وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ و هو كناية عـن احـاطة عـلمه بالاشياء و لمّا كان علمه تعالى ذا مراتب و مرتبة منه عين ذاته و هى مرتبة الغيب الّتى لاخبر عنها ولااثر فلاكلام لنا فيها، و مرتبة منه فعله الّذى يعبّر عنها بالمشيّة والحقّ المخلوق به وتلك جامع لجميع الموجودات بوجوداتها لابحدودها وتعيّناتها.

فانّ الحدود و التّعيّنات اعدام لاطريق لها الى ذلك العالم و مرتبة العالم و مرتبة منه الاقلام العالية و حكمها حكم المشيّة، و مرتبة منه النّفوس الكلّيّة، و مرتبة من النّفوس الجزئيّة، و مرتبة منه الوجودات الطّبيعيّة.

وكلّ مرتبة من المراتب العالية علم له تعالى بجميع مادونها فأنّ جميع مادونها مجتمعة بوجوداتـها لابـحدودها فـى المـرتبة العالية، و كما انّها علم بجميع مادونها علم له تعالى بـنفس تـلك

المرتبة، وكونها علماً بما دونها هو العلم السّابق على المعلوم، وكونها علماً بنفسها هو العلم الّذى يكون مع المعلوم.

و عالم الطّبع بوجوده علم له تعالى بالعلم الّذى يكون مع المعلوم فكلّ شيءٍ معلوم له تعالى بالعلوم السّابقة و معلوم له تعالى بوجوده الخاصّ به الّذى هو علمه تعالى به.

الغرض من انباء ما قد سبق

﴿كَذَٰلِكَ﴾القصص الّذى قصصناه عليك ﴿نَقُصُّ﴾ بعد ذلك ﴿عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾اى انباء الوقائع الّتى سبقت من وقائع الانبياء عليهم السلام و غيرهم ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴾اى سبب تذكّرٍ للامور الماضية و هو الولاية الّتى بها يتذكّر جميع مراتب الوجود وجميع ما فى كلّ مرتبة يعنى نقصّ عليك والحال انّا اعطيناك الولاية الّتى بها تستغنى عن القصص.

اوالمراد بالذّكر القرآن، او الصّيت والذّكر الجميل، او المراد بالذّكر قصص الاخبار الماضية و المقصود انّا آتيناك هذا الذّكر من لدنّا لامن لدن الوسائط.

﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ من موصولة او شرطيّة والجملة صفة ذكراً او حالٌ او مستأنفة جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ والضّمير المجرور راجع الى الذّكر بمعانيه، او الى القصص، او الى الله تعالى لانّ من أعرض عن كلّ.

﴿فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وِزْرًا ﴾ الوزر بالكسر الاثم

والثّقل والحمل الثّقيل.

﴿خَـٰلِدِينَ فِيهِ﴾ جمع الضّمير وافراده في سابقه باعتبار لفظ من ومعناه، والمراد انّهم خالدون في عذاب ذلك الوزر والنّار اللاّزمة له.

﴿وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ حِمْلاً﴾ يعني انّ الانسان واقع بين داري الرّحمن و الشّيطان ومن توجّه الى الولاية خروج من القوّة الى الفعليّات الولويّة الرّحمانيّة المورثة لدخول الجنان.

ومن أعرض عن الولاية خرج من القوّة الى الفعليّات الشّيطانيّة لخروجه لامحالة من القوّة الى الفعليّات بالتّدريج وعدم الفصل بين الفعليّات الولويّة و الفعليّات الشّيطانيّة.

و الفعليّات الشّيطانيّة حمل ثقيل على الانسان سائق له الى النّيران فبئس الحمل تلك الفعليّة يوم القيامة حملاً.

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ بدل من يوم القيامة ويكون المراد بالنّفخ نفخ الاحياء و قرئ ينفخ بالياء مبنيّاً للمفعول ومبنيّاً للفاعل، وتنفخ بالنّون اسناداً للفعل الى الامر تفخيماً للفعل او للفاعل، والصّور قرنٌ له بعدد كلّ نفس ثقبة.

في كيفية حشر المجرمين

﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ و قرئ بالياء مبنيّاً للمفعول والمجرمون بالرّفع وهو عطف على يحمل، و اكتفى عن العائد باظهار المجرمين فانّ المراد بهم هو من أعرض عن الذّكر ووضع الظّاهر موضع المضمر تصريحاً بوصف ذمٍّ لهم واشعاراً بعلّة الحكم، او عطف على ساء لهم حملاً او على ينفخ في الصّور،

و يكون قوله تعالى.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ حينئذٍ تأكيداً فانّه يكون التّقدير يوم نحشر المجرمين يومئذٍ ﴿زُرْقًا﴾ اى زرق العيون فانّ الزّرقة اسوء الوان العين، او عمياً فانّ الزّرقة تستعمل بمعنى العمى.

و قيل: عطاشاً فانّ العطشان يميل لون عينيه الى الزّرقة ﴿يَتَخَٰفَتُونَ﴾ اى يتسارّون والجملة حال مترادفة او متداخلة او صفة لزرقاً او مستأنفة اى يقولون سرّاً ﴿بَيْنَهُمْ﴾ لشدّة الخوف وعدم قدرة نفوسهم على اجهار الصّوت او لخوف اطّلاع الحفظة على مكالمتهم لانّهم لايتكلّمون الاّ اذن له الرّحمن، او لشدّة الخوف و الدّهشة يظنّون انّ الاجهار يصير سبباً لعذاب آخر.

﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ اى فى الدّنيا، او فى القبور، او بين النّفختين، ينسون مدّة لبثهم، او يقلّلون مدّة لبثهم فى تلك المذكورات لطول مدّة عذابهم، والتّعير بالعشر للتّقليل لعدم يقينهم بالعشر.

و لذلك يقول الامثل منهم: ان لبثتم الاّ يوماً ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ﴾ منهم ومن الحفظة ﴿بِمَا يَقُولُونَ﴾ بقولهم تخافتوا او اجهروا، او بالّذى يقولو نه من تعيين مدّة لبثهم ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ﴾ اى افضلهم ﴿طَرِيقَةً﴾ سيرة لكونه اعقلهم فانّ السّيرة الفاضلة لاتكون الاّ عن العقل الكامل.

﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ لانّ ايّام الدّنيا وان كانت بالنّظر الى عرض الزّمان متعدّدة متكثّرة وكذلك ايّام القبر والبرزخ والايّام بين النّفختين لكنّها بالنّظر الى مافوقها فى الطّول ليست الاّ يوماً واحداً و لذلك نسبه الى الامثل، لانّ حدود الكثرات ترتفع و تستهلك بالنّظر الى مافوقها.

﴿وَ يَسْـَٔلُونَكَ﴾ عطف على قوله كذلك نقصّ فانّه يشعر بسؤاله ۹ او سؤالهم عن انباء ماقدسبق فكأنّه قال: تسأل عن أنباء ما قدسبق و يسألونك ﴿عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ﴾ هو جواب شرطٍ مقدّرٍ او بتقدير فعلٍ بعد الفاء حتّى لايلزم عطف الانشاء على الخبر .

والتّقدير اذا سألوك فقل او يسألونك فأقول قل فى جوابهم ﴿يَنسِفُهَا﴾ يقطعها او يدكّها فيجعلها كالرّمال تذروها الرّياح ﴿رَبِّى نَسْفًا﴾ عظيماً لايبقى منها اثر.

قيل: انّ رجلاً من ثقيفٍ سأل كيف تكون الجبال يوم القيامة فانّه ينبغى ان يسأل عنها خصوصاً بعد مااشتهر بينهم انّ الارض يوم القيامة تكون مستويةً ليست فيها تلال و وهاد.

﴿فَيَذَرُهَا﴾ الضّمير راجع الى الجبال باعتبار محلّها من قبيل الاستخدام، او راجع الى الارض المستفادة بالالتزام ﴿قَاعًا﴾ القاع الارض المطمئنّة السّهلة قدانفرجت عنها الجبال والآكام ﴿صَفْصَفًا﴾ الصّفصف المستوية من الارض.

﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا﴾ انحداراً بسبب الوهاد ﴿وَلَآ أَمْتًا﴾ اى مترفعاً، والعوج ماانخفض من الارض، والأمت ماارتفع منها.

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ﴾ الّذى يدعوهم الى الجنّة و الجحيم بخلاف يوم الدّنيا فانّه لايتّبع اكثرهم فيه الدّاعى و من يتّبع منهم للدّاعى لايكون اتّباعه او وجوده او الدّاعى فى نظره الاّ معوجّاً.

﴿لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾ الجملة حاليّة او مستأنفة، و على تقدير الحاليّة فهو حال من الدّاعى او من فاعل يتّبعون.

و الضّمير المجرور امّا للاتّباع او للدّاعى ولابدّ من تقدير العائد اذاكان حالاً من فاعل يتّبعون او من الدّاعى، و كان ضمير المجرور للاتّباع.

فى خشوع الاصوات يوم القيامة لله

فانّ الدّاعى يومئذٍ لايكون فيه عوج لافى نفس الامر ولافى انظارهم، و اتّباعهم يكون غير معوجّ والمدعوّون ايضاً لااعوجاج فيهم.

فانّهم كالاراضى يكونون مستوين برفع جبال الانانيّات عنهم وارتفاع النّفاق عن وجودهم، فانّه كما يندكّ جبل الارض الطّبيعيّة يومئذٍ يرتفع جبال الانانيّات والتّقيّدات عن العالم الصّغير.

﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ﴾ قدمضى تحقيق معنى الخشوع و الفرق بينه و بين الخضوع و التّواضع و انّ الكلّ متقارب المفهوم وانّ الخشوع حالة حاصلة من امتزاج المحبّة و ادراك الهيبة بالنّسبة الى من يتخشّع له لكنّ المحبّة و اللّذة فى الخشية غالبة و فى

الخضوع غير غالبةٍ، و فى التّواضع العظمة و الهيبة غالبة.

و قدينسب الخشوع الى الصّوت لظهوره به و قدينسب الى البدن لذلك والجملة عطف على قوله لاعوج له او على يتّبعون الدّاعى والتّفاوت بالاسميّة والفعليّة، او بالاستقبال والمضىّ للاشعار بانّ الاصوات كانت خاشعة للرّحمن فى الدّنيا كما صارت خاشعة فى ذلك اليوم لكن ما كان خشوعها ظاهراً فى الدّنيا وفى ذلك اليوم ظهر خشوعها، او الجملة حال بتقدير قد.

﴿لِلرَّحْمَـٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ الهمس الصّوت الخفىّ وكلّ خفىٍّ او اخفى مايكون من صوت القدم.

﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ﴾ الجملة مستأنفة جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ او حال ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ﴾ اى الاّ شفاعة من اذن او لاتنفع الشّفاعة احداً الاّ من اذن فى شفاعته او من احدٍ الاّ ممّن اذن او لاحدٍ الاّ لمن اذن له الرّحمن.

و قدمضى فى سورة البقرة و غيرها احتياج الشّفاعة الى الاذن من الله او من خلفائه المأذونين منه بلاواسطةٍ او بالواسطة؛ وانّ الامر بالمعروف والنّهى عن المنكر و الفتيا للنّاس و القضاوات و المحكمات و امامة الجماعة و الجمعة و غير ذلك ممّا يرجع الى العلماء كلّها شفاعات و لاتصحّ الاّ ممّن اذن له الرّحمن.

و المتصدّى لها من غير اجازةٍ واذنٍ من الله ابغض الخلق الى

الله، اعاذنا الله من شرور نفوسنا.

﴿وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ الجارّ والمجرور امّا لغو وصلة رضى اى رضى لاجله قولاً من الشّافع او فى حقّه قولاً من الشّافع، او لاجله قولاً منه فى الشّفاعة.

او مستقرّ حال من قولاً اى رضى قوله سواء كان شافعاً او مشفّعاً له، و تنكير قولاً لتغليب جانب الرّجاء يعنى اذا كان الانسان بحيث يرضى الله منه قولاً حقيراً ينفع الشّفاعة فى حقّه او ينفع شفاعته فى حقّ الغير.

﴿يَعْلَمُ﴾ الله ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ اى مابين ايدى المتّبعين للدّاعى او مابين ايدى من اذن له الرّحمن ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من احوالهم الآتية و الماضية و من الدّنيا والآخرة او من الآخرة و الدّنيا على اختلاف تفسيرهما بالدّنيا و الآخرة او بالآخرة والدّنيا.

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ﴾ اى بالله او بما بين ايديهم وماخلفهم ﴿عِلْمًا وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ﴾ خضعت او صارت اسيراً بمعنى انّ صاحبى الوجوه قد ذلّوا و خضعوا لكنّه اداّه بالوجوه لظهور الاستسلام و الانقياد بالوجوه.

﴿لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ علّق الفعل على وصف الحيوة والقيّوميّة المطلقة للاشعار بانّ الحيوة المطلقة خاصّة به، وكذا القيّوميّة المطلقة، وللاشارة الى علّة الحكم فانّ الحىّ المطلق و الحيوة المطلقة تقتضى الاحاطة بجميع اصناف الحيوة الجزئيّة و القيّوميّة

انّ حمل الظّلم جحود الولاية

تقتضى الاحاطة و التّسخير لجميع ماتقوّم بالمقوّم.

﴿وَقَدْ خَابَ﴾ عمّا رجاه عباد الله من ثوابه وقربه ﴿مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ عظيماً هو جحود الولاية او الاشراك بها بقرينة قوله فى مقابله.

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ بالايمان الخاصّ والبيعة الخاصة الولويّة وقبول الدّعوة الباطنة فانّ الايمان العامّ وقبول الدّعوة الظّاهرة لايتجاوز اثره عن الدّنيا وانّما الثّواب على الايمان الخاصّ وقبول الولاية، ولاشكّ انّ الخيبة ليست الاّ من الثّواب فى الآخرة فيكون قوله تعالى.

﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ مشيراً الى الظّلم والهضم فى الآخرة، والهضم الهجوم، والهبوط، والظّلم، والغصب، والكسر، وقرئ فلايخف مجزوماً.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ اى مثل انزالنا اخبار القيامة والوعيد منها بالقرآن العربىّ ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ اى القرآن جملةً او قرآن هذه السّورة ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ بلغة لعرب او مشتملاً على الآداب و العلوم لاعجميّاً و لااعرابيّاً لايكون فيه آداب وعلوم والجملة عطف على جملة عنت الوجوه.

﴿وَصَرَّفْنَا﴾ كرّرنا ﴿فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ﴾ بالفاظٍ مختلفةٍ و متواضعةٍ و امثالٍ متكثّرةٍ متخالفةٍ ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ اى المجرمون او العرب

او النّاس ﴿يَتَّقُونَ﴾ يصيرون صاحبى تقوى او يتّقون مايوعدون او المعاصى ﴿أَوْ يُحْدِثُ﴾ القرآن العربىّ ﴿لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ اى تذكّر الامور الآخرة و اشتياقاً اليها.

اعلم، انّ الانسان بل جلّ الحيوان خروجه من القوى الى الفعليّات بل بقاءه فى هذه الحيوة ليس الاّ بالخوف و الرّجاء و التّوبة و الانابة و الزّكوة و الصّلوة و البراءة و الولاية و الخلع و اللّبس و التّصرّم و التّكوّن والادبار و الاقبال و التّخلية و التحّلية والبغض والحبّ والدّفع و الجذب والتّقوى والطّاعة وغير ذلك من الاسماء الدّالّة على هذين المعنيين، فقوله تعالى: لعلّهم يتّقون، اشارة الى البراءة وقوله تعالى او يحدث لهم ذكراً اشارة الى الولاية.

﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ عطف على قوله عنت الوجوه وتفريع عليه والمقصود انّه بقيّوميّته مستعلٍ على كلّ شيءٍ وهو الملك المالك على الاطلاق و الحقّ الّذى لاشوب بطلان فيه الاقتضاء القيّوميّة ذلك فلا تسأل منه شيئاً فانّه بقيّوميّته وعلوّه يعلم ويعطى كلّ ماينبغى ان يسأل سئل ام لميسأل.

﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ﴾ مخصوصاً ﴿مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ يعنى لاتسأل القرآن قبل ان نوحيه او يقرءه جبرئيل عليه السلام فانا اعلم بمصالح نزوله ووقته، او لاتعجل بقراءته مع الملك الموحى قبل اتمام الملك قراءته، او لاتعجل بقراءته على

اصحابك قبل اتيان وقت حكمه او قبل بيان مجمله.

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ بوقت حكم القرآن وبيانه، او بتفصيل اجماله او مطلقاً ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ﴾ عطف على قوله كذلك انزلناه.

والمقصود انّا انزلناه قرآناً عربيّاً وصرّفنا فيه من الوعيد لعلّهم يتّقون لكنّهم ينسون لانّا قدعهدنا الى آدم عليه السلام ابيهم فهو عطف فيه معنى التّعليل او عطف على لاتعجل باعتبار القسم المقدّر.

فانّ هذه اللاّم هى اللاّم المشعرة بالقسم والمعنى لاتعجل بالقرآن ولاتنس العهد والوصيّة الّتى اوحيناك بالتّوانى لانّا قدعهدنا ﴿إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ﴾ اى من قبل هذا الزّمان، او من قبل خلق بنى آدم، او من قبله نزوله الى الدّنيا.

﴿فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ فابتلى ببلاءٍ عظيمٍ فلاتنس فتبتلى مثل ابتلائه والمراد بالعزم الثّبات والتّمكّن فى الامر ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ﴾ حتّى تعلم تكريمنا له وابتلاءنا بسبب النّسيان حتّى تكون على حذرٍ من النّسيان وعدم العزيمة.

﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾ عن السّجود او عن المطاوعة ﴿فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا﴾ يعنى فلاتكونا بحيث تؤثّر وسوسته فيكما.

فانّ المراد نهيهما لانهيه ﴿مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقىٰ﴾ افراد الضمير الاشعار بانّ المرأة و سعادتها تابعتان لشقاء المرء وسعادته، ولمحافظة رؤس آلاى، او لانّ المراد بالشّقاء التّعب فى طلب المعاش فانّ وسوسته صارت سبباً لهبوطهما الى الارض واحتياجهما الى المأكول والمشروب والملبوس والمسكون، وتعب ذلك كلّه على الرّجال لاالنّساء.

و يؤيّد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ قرئ انّك بفتح الهمزة عطفاً على ان لاتجوع.

وقرئ انّك بكسر الهمزة عطفاً على انّ لك ان لاتجوع، وقوله انّ لك ان لاتجوع، استيناف بيانىّ فى مقام التّعليل.

﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾ القى اليه وسوسته ﴿قَالَ﴾ بيان لوسوسته ﴿يَـٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾ اى الشّجرة الّتى صار الاكل منها سبباً للخلد فالاضافة لادنى ملابسة ﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ عطف على شجرة الخلد او على الخلد فقبلا قوله وغرّا به.

﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾ قدسبق فى سورة البقرة عند قوله تعالى ولاتقربا هذه الشّجرة تحقيق الشّجرة المنهيّة وكيفيّة اغترارهما بقول ابليس.

﴿وَ طَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ اى يلصقان على بدنهما من ورق اشجار الجنّة، ﴿وَ عَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ﴾ خالف امر ربّه امره التّكوينيّ اوامره التّكليفيّ الّذى كان اولى له.

﴿فَغَوَىٰ﴾ فضلّ الطّريق الّذى كان بالفطرة عليه.

اعلم، انّ نسبة العصيان الى آدمعليه السلام مع انّه كان نبيّاً معصوماً عن الخطاء انّما كانت بملاحظة انحرافه عن فطرة التّوحيد الّتى كانت الاشياء كلّها مفطورة عليها.

و هذا ليس معصيةً منافيةً للعصمة لانّه كان بأمره تعالى و رضاه او كانت بملاحظة تركه دار التّوحيد و توجّهه الى الكثرات و قد امره الله تعالى بالبقاء على التّوحيد و عدم الالتفات الى الكثرات لكونه اولى به من الاتفات الى الكثرات و ان كان الاولى بنظام العالم وايجاد بنىآدم توجّهه الى الكثرات، و تسميته عصياناً لمخالفته الامر الاولوىّ الّذى كان اولى بالنّسبة الى حاله، و هذا ايضاً لاينافى عصمته .

و فى خبرٍ: انّ نهيه كان فى الجنّة لافى الدّنيا وقبل كونه حجّة لابعده والمنافى لعصمته هو عصيانه فى الدّنيا وبعد كونه حجّةً.

و فى خبرٍ: انّ المنافى للعصمة هو الكبيرة او الصّغيرة بعد كونه حجّة لاالصغيرة قبل كونه حجّة، وفى خبرٍ: انّ الله نهى عن قرب شجرة بعينها ووسوس الشّيطان اليه فى شجرةٍ اخرى من

جنسها، وعصيانها كان بغروره بقول الشّيطان.

﴿ثُمَّ ٱجْتَبَـٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ يعنى قبل الاجتباء فانّ توبته كانت فى الدّنـيا، وهـبوطه اليها كان قبل توبته، و قدسبق فى البقرة هذه الآية هكذا: قلنا اهبطوا منها جميعاً بضميمة الشّيطان والحيّة او الذّريّة اليهما، ولمّا كانا هما الاصلين فى الخطاب خصّهما ههنا بالخطاب واشار الى الشّـيطان والحيّة او الذّريّة بقوله ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ بخطاب الجمع.

﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ الضّلال فى الدّنيا و الشّقاء فى الآخرة، او كلاهما فى كليهما، و يكون الشّقاء بمنزلة النّتيجة للضّلال والمراد بالشّقاء ضدّ السّعادة او العناء و التّعب.

فيما يوجب الاعراض عن ذكر الله

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ قدفسّر الهدى فى اخبارٍ عديدةٍ بولاية أميرالمؤمنين عليه السلام و بعلّيٍ عليه السلام نفسه و هكذا فسّر الذّكر والمراد بالمعيشة الضّنك امّا الضّيق فى ما يحتاج اليه فى الدنيا من المأكول و المـلبوس و غـيرهما و بـهذا الاعتبار فسّرت بالضّيق فى الرّجعة فى اخبارٍ كثيرةٍ و انّهم يأكلون العذرة و فسّر فى بعض الاخبار بعذاب القبر وضنكه.

و التّحقيق انّ الرّاحة وضعها الله تعالى فى الآخرة الّتى قلب الانسان انموذج منها، وسعة العيش والرّاحة للانسان ليست الاّ من

طريق القلب الّذى هو طريق الولاية و طريق الآخرة و ضيق العيش و عناؤه ليس الاّ من الدّنيا الّتى هى انموذج الجحيم و طريقها و من أعرض عن الذّكر الّذى هو الولاية الّتى هى طريق القلب و طريق الآخرة توجّه الى الدّنيا الّتى هى طريق الجحيم و فيها العناء والضّيق، ومن توجّه الى الدّنيا سدّ باب الرّاحة على نفسه و فتح باب الضّيق والتّعب عليها.

و كان فى ضيق استشعر به ام لميستشعر، ومن تولّى عليّاً عليه السلام و فتح طريق القلب فتح طريق الرّاحة على نفسه فان دخل فى باب القلب و الآخرة دخل فى السّعة والرّاحة، وان لميدخل كان فى عناءٍ لبقائه بعد فى الدّنيا.

لكنّه كان فى طريق الوصول الى الرّاحة وضيق العيش فى الدّنيا و ضيق الصّدر و ضيق القبر و ضيق العيش فى الرّجعة كلّها لازم لسدّ طريق القلب.

﴿وَنَحْشُرُهُۥ﴾ قرئ بالرّفع وقرئ فى الشّواذّ بالجزم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ عن الولاية والامام والآيات ونعيم الآخرة ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾ قيل يحشر من قبره بصيراً .

و اذا اتى المحشر يصير اعمى ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا﴾ العظمى الّتى هم الانبياء و الاولياء عليهم السلام، و آياتنا الصّغرى

الّتى هى آيات الآفاق والانفس ﴿فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ اى تركتها و لم‌تتبعها و كذلك اليوم تترك و لايعتنى بك.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ﴾ فى التّوجّه الى الدّنيا زائداً على قدر الواجب والنّدب ﴿وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ﴾ الّتى هم الانبياء والاولياء عليهم السلام.

﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾ من النّسيان والحشر اعمى و من ضيق المعيشة حتّى انّها تعدّ فى مقابل عذاب الآخرة نعمة.

و قدمضى قصّة آدم عليه السلام فى سورة البقرة وفى سورة الاعراف مع اختلاف يسير فى بعض الفقرات بحسب اللّفظ مع ماذكر ههنا.

﴿أَ﴾ لم‌ينههم ﴿فَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ والتّقدير الم ينبّههم فالم يهد لهم على الخلاف فى الهمزة و العاطف انّها بتقدير المعطوف عليه قبل الهمزة و الهمزة على تقدير التّأخير من العاطف او بتقدير المعطوف عليه بعد الهمزة والهمزة فى محلّه و فاعل لم‌يهد ضمير اللّه اوالرّسول صلّى اللّه عليه وآله .

و حينئذٍ يكون جملة ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ فى محلّ المفعول معلّقاً عنها الفعل على جواز التّعليق فى غير الفعل القلبىّ او على جعل لم يهد بمعنى لم‌يعلم، او فاعل لم‌يهد ضمير مجمل يفسّره مضمون جملة كم اهلكنا.

او الفاعل نفس الجملة بمضمونها، وقرئ نهد بالنّون اى افلم نهد نحن كم اهلكنا ﴿قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾ يعنى اهلاك الامم الماضية ينبغى ان يكون عبرةً لهم وهادياً لهم الى اليقين باهلاك انفسهم والتّزوّد لما بعد هلاكهم.

﴿يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ﴾ حال او مستأنف جواب للسّؤال عن حالهم او عن علّة الهداية.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ الاهلاك بانواع الاهلاك ﴿لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلنُّهَىٰ﴾ لذوى العقول النّاهية او المنتهى اليها لكلّ موجودٍ فى العالم الصّغير او فى العالم الكبير وقدفسّر اولوالنّهى بالائمّة عليهم السلام اينما وقع.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ اى كلمة الوعد بتأخير العذاب للامّة المرحومة او بعدم العذاب مع كون محمّدٍ فيهم.

﴿لَكَانَ﴾ ذلك الاهلاك بانواع الاهلاك ﴿لِزَامًا﴾ اى لازماً واللّزام او بكسر اللاّم اسم مصدرٍ لازم وصف به مبالغة ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ لاعمارهم وامد بقائهم فى الدّنيا او لعذابهم وهو يوم القيامة او هو يوم بدرٍ او احد او فتح مكّة وهو عطف على كلمةٌ والفصل للاشعار باستقلال كلّ منهما بنفى لزوم العذاب.

﴿فَاصْبِرْ﴾ اى اذا كان عذابهم بسبب وعد الامهال وانقضاء الاجل مؤخّراً فاصبر ﴿عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ فى دينك او فى الخداع

بك او فى وصيّك وغصب حقّه ومنعه منه.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ قدمضى انّ المراد بالتّسبيح سواء علّق على الله او الرّبّ او اسم الرّبّ، وسواء عدّى باللاّم او بنفسه او اطلق، وسواء كان اللاّم بعده للتّعليل او للتّقوية كان المراد تنزيه اللّطيفة الانسانيّة عن تشبّث التّعيّنات والتّعلّق بالكثرات.

وتلك اللّطيفة هى الرّبّ فى العالم الصّغير وهى اسم الرّبّ وبتنزيهها ينزّه الله عمّا لاينبغى ان يعتقد فيحقّه، ولمّا كان تنزيه الله تعالى راجعاً الى سلب النّقائص الّتى هى حدود الوجود وهى راجعة الى سلب السّلوب كان تنزيهه عبارة عن سلب السّلوب، وسلب السّلوب، ليس الاّ سعة الوجود، وسعة الوجود راجعة الى سعة صفاته تعالى بحيث لايشذّ وجود ولاصفة وجود من وجوده وصفاته وكان تسبيحه عين تحميده.

و لذلك قلّما يذكر تسبيح الاّ ومعه الحمد بلفظه او بمعناه وامره صلّى الله عليه وآله باتّسبيح بسبب الحمد او بالاشتغال بحمده او متلبّساً بحمده لذلك يعنى نزّهه عليه السلام عن حدود الكثرات فى عين ملاحظة كمالات الكثرات له تعلى والاّ لميكن تسبيحك تسبيحاً له بل كان تنقيصاً له.

﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ ان كان المراد بهذا التّسبيح الّذى كان فى ضمن الصّلوات كان المراد بالتّسبيح قبل طلوع الشّمس

صلوة الفجر ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ يعنى صلوة العصر.

﴿وَمِنْ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ﴾ الآناء جمع الانى بكسر الهمزة وفتحها وجمع الانو بكسر الهمزة وسكون النّون فى الجميع بمعنى السّاعات يعنى صلوة المغرب والعشاء ونوافل اللّيل ﴿فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ صلوة الظّهر ونوافلها، وتسمية وقتها بالاطراف لكونه طرفى نصف النّهار.

او المراد مطلق صلوة التّطوّع فى النّهار، وان كان المراد مطلق التّسبيح كان المراد استغراق الاوقات وذكر قبل طلوع الشّمس وقبل غروبها للاهتمام بهذين الوقتين.

﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ قرئ مبنيّاً للفاعل ومبنيّاً للمفعول ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦ﴾ من اصنفا النّعم الصّوريّة ومستلذّات القوى الحيوانيّة وهو خطاب لمحمّدٍ ﷺ على ايّاك اعنى و اسمعى يا جارة.

و يجوز ان يكون الخطاب عامّاً على بعدٍ ﴿أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ هو مفعول به لمتّعنا والمعنى لاتمدّن عينيك الى مامتّعنا اصنافاً من النّاس او هو حال من ما او من ضمير به والمعنى لاتمدّنّ عينيك الى ما متّعنا به حالكونه اصنافاً من النّعم و المتسلذّات و منهم حينئذٍ يكون مفعولاً به سواء جعلت من التّبعيضيّة اسماً او قائماً مقام الموصوف المحذوف لقوّة معنى البعض فيه.

﴿زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ منصوب على الذّمّ او بدل من محلّ مامتّعنا ووجه الاتيان به التّصريح بفناء مامتّعهم به وذمّه وذمّهم والاشعار بانّ المنهيّ النّظر الى مايتمتّع به فى الدّنيا، وامّا نعيم العقبى او قرب المولى فينبغى ان يكون مطمح الانظار.

﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ لنعذّبهم او نختبرهم لانّ كثرة الاموال سبب لعذاب صاحبه لاهتمامه بجمعها وحفظها حتّى انّهم يحرّمون على انفسهم الخطوط البدنيّة لاجل حفظها وجمعها واستنمائها ولخوف فنائها وسرقتها حتّى انّهم يحرمون طيب المنام لخوف زوالها ولانّ كثرة المال تورث كثرة الحقوق والتّعبّد بادائها فرضاً وندباً والتّقييد به ذمّ آخر وتسلية اخرى للمؤمنين.

﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾ الّذى اعطاك او تترقّبه ﴿خَيْرٌ﴾ امّا مجرّد عن التّفضيل او المقصود تفضيل رزق الرّبّ على زعم من طمح نظره الى متاع الدّنيا وعدّه خيراً، او متاع الدّنيا خير بشرط ان يكون مع الايمان ﴿وَأَبْقَىٰ﴾ هذا ايضاً على زعمهم والاّ فلابقاء لمتاع الدّنيا.

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ﴾ يعنى اجعل رزق ربّك مطمح نظرك ولاتكتف بنصيب نفسك منه بل اجعل اهلك متوجّهين اليه وطالبين له وأمرهم بالصّلوة الّتى هى انموذج ذلك الرّزق حتّى يطلبوه ويتوجّهوا اليه، واهله ﷺ كلّ من انتسب اليه بالبيعة العامّة او

الخاصّة، ومن انتسب اليه بالبيعتين وبالنّسبة الجسمانيّة اولى باهليّته ممّن لميكن له نسبة جسمانيّة، ومن انتسب بالبيعتين اولى ممّن انتسب بالبيعة العامّة فقط. وعليّ عليه السلام وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام كانوا اولى من غيرهم ولذلك كان صلى الله عليه وآله بعد نزول هذه الآية يأتى باب عليٍّ عليه السلام الى تسعة اشهر وقت كلّ صلوة ويقول: الصّلوة رحمكم الله، او المراد باهله اصحاب الكساء ولذلك كان يأتى باب عليٍّ عليه السلام دون غيره.

و قال ابوجعفر عليه السلام: امره الله تعالى ان يخصّ اهله دون النّاس ليعلم النّاس انّ لاهله عندالله تعالى منزلةً ليست للنّاس فأمرهم مع النّاس عامّة ثمّ امرهم خاصّة.

﴿وَ ٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ لمّا كان ادامة الصّلوة امراً صعباً لايتيسّر الاّ لمن كان متمكّناً فى مقامات الآخرة امره صلى الله عليه وآله خاصّةً بالصّبر عليها دون اهله، واتى بالصّيغة الدّالّة على المبالغة والتّكلّف ﴿لَا نَسْـَٔلُكَ﴾ جناب لسؤالٍ مقدّرٍ .

كأنّه صلى الله عليه وآله قال: كيف اصطبر على الصّلوة وقدكلّفت رفع حاجتى فى المأكول والمشروب والملبوس لنفسى ولغيرى من عيالى؟ ـ فقال لانسألك ﴿رِزْقًا﴾ لنفسك ولغيرك.

﴿نَّحْنُ﴾ لاغيرنا ﴿نَرْزُقُكَ وَ ٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ عن الاشتغال عن الصّلوة بغيرها، ولمّا كثر استعمال العاقبة فى العاقبة

المحمودة صارت بحيث كلّما اطلقت يتبادر منها العاقبة المحمودة.

﴿وَقَالُواْ﴾ عطف على نفتنهم والتّفاوت بالمضيّ والمضارعة للاشارة الى انّ هذا القول وقع منهم، او عطف باعتبار المعنى كأنّه قال تعالى: فتنّاهم به و قالوا ﴿لَوْلَا يَأْتِينَا﴾ محمّد ﷺ فى ادّعاء نبوّته ﴿بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ دالّة على صدقه فى نبوّته كأنّهم لم يعتدّوا بمارأوا منه او حملوه على السّحر.

﴿أَ﴾ تركهم بلابيّنة ﴿وَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ يعنى انّه اتى بالقرآن الّذى هو مبيّن جميع مافى الصّحف الاولى من العقائد والاخلاق والعبادات والسّياسات والحال انّ محمّداً ﷺ امّىّ لايعرف كتاباً و مااختلف الى عالم يعلّمه الكتب الماضية يعنى لايريدون بقولهم هذا الدّلالة على صدقه وقبول نبوّته بل يريدون الزامه امراً يعجز عن الاتيان به او الاستهزاء به.

﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَـٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ﴾ اى من قبل محمّد ﷺ او القرآن او من قبل الاحتجاج بمحمّد ﷺ وكتابه ﴿لَ﴾ ادلوا حجّتهم علينا و ﴿قَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ يدعونا اليك وينبّهنا من غفلتنا ويخرجنا من جهلنا ﴿فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ﴾ اى رسلك وخلفاءك وكتبك واحكامك.

﴿مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ﴾ نهون بالعذاب فى الدّنيا ﴿وَنَخْزَىٰ﴾ فى الآخرة، او من قبل ان نذلّ فى الانظار ونخزى فى انفسنا، او من

قبل ان نذلّ ونستحيى من اعمالنا عندك ﴿قُلْ كُلٌّ﴾ منّا ومنكم ﴿مُّتَرَبِّصٌ﴾ لمانؤل اليه ولمايظهر من العاقبة ﴿فَتَرَبَّصُوا۟ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَـٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ﴾ منّا ومنكم اى سيظهر عليكم من كان من اصحاب الصّراط وكائناً فى الصّراط اعنى المتحقّق بالولاية وصاحب القلب ﴿وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾الى الصّراط وصار مقامه مقام القاء السّمع واكتفى بمفهوم المخالفة عن التّصريح بمخالفه يعنى من لميكن كذلك.

سورة الأنبياءِ

مكيّة كلّها وهى مائة واثنتا عشرة آيةً

بسم الله الرّحم الرّحيم

فى اقتراب القيامة واعراض النّاس فى الغفلة

﴿ٱقْتَرَبَ﴾ قرب منه ككرم وقربه كسمع واقترب بمعنىً لكن فىاقترب معنى المبالغة.

﴿لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ نسبة القرب والبعدالى الافعال ليست الاّ باعتبار اوقاتها، ووقت الحساب هو وقت القيامة، و لمّا كانت القيامة واقعة فى طول الزّمان لافى عرضه وكانت مقوّمةً له لامن ابعاضه لميكن قربها و بعدها بحسب الزّمان بل كانت قريبة من الزّمان و ان كانت الزّمانيّات متفاوتة النّسبة اليها بانّ بعضها يكون قريباً منها و بغضها بعيداً.

و لهذا التّفاوت قال ﷺ: بعثت انا والسّاعة كهاتين؛ بخلاف سائر الانبياء عليهم السلام

﴿وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ عن الحساب وعن التّهيّؤ له ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ﴾ للحساب ﴿مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ فى باطنهم

بزجر الملك الزّاجر ونهى العقل النّاهى والواردات النّفسانيّة من الهموم و الغموم والمنامات المنذرة و المبشّرة.

و فى الخارج بالواردات الخارجة من الابتلاءات والامتحانات و الدّوائر الدّائرة الّتى قلّما يخلوا الانسان منها، وبتذكيرات الانبياء و الاولياء عليهم السلام والعلماء رضى الله عنهم من الانذارات والتّبشيرات ﴿إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ﴾ بآذانهم الباطنة او الظّاهرة ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ به بان يجعلوه كالاسمار الّتى لاحقيقة لها او بغيره لعدم الاعتداد به ﴿لَاهِيَةً﴾ مشغولة ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ بغيره، او لاهية من اللّهو، والفرق بينه وبين اللّعب انّ اللّعب هو الفعل الّذى لايكون له غاية عقلانيّة ويكون له غاية خياليّة، واللّهو مالايكون له غاية عقلانيّة و لاخياليّة وان لميكن خالياً عن الغاية فى نفس الامر غير مستشعرٍ بها.

﴿وَأَسَرُّوا ٱلنَّجْوَى﴾ عطف على اقترب والنّجوى السّرّ وجمع النّجى بمعنى المسارّين وتعليق الاسرار بها للمبالغة فى الاخفاء او لانّهم اخفوا مناجاتهم كما اخفوا ماتناجوا به، وانّما اخفوا التّكلّم فى رسالته لانّهم كانوا فى شكٍّ من امره والشّاكّ لايمكنه التّسليم حتّى لايتكلّم ولايمكنه الاجهار بالرّدّ والقبول لعدم اقباله على شيءٍ منهما، او لانّهم خافوا اطّلاع المؤمنين وافتضاحهم به.

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بدل من الضّمير او فاعل والواو علامة

الجمع، او منصوب على الذّمّ، او الاختصاص، ووجه الاتيان به التّصريح بوصف ذمّ لهم والتّسجيل عليهم بالظّلم.

﴿هَلْ هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ فلايكون رسولاً فما يصدر منه ممّا هو خارج عن المجرى الطّبيعيّ ليس الاّ سحراً ﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ﴾ اى تقبلونه وتقبلون عليه ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ انّه بشر لايجوز رسالته وانّ مايأتي به سحر او انتم البصراء الحكماء لاينبغي ان تغترّوا بدعوى يكون برهان بطلانها معها.

﴿قَالَ﴾ لهم اسرّوا القول او اجهروا به فانّه لايخفى على الله لانّ ﴿رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ظرف للقول و ليعلم او حال من القول او من فاعل يعلم.

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لكلّ مسموع لاسميع سواه ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بكلّ معلومٍ لاعليم سواه فيسمع اقوالهم سواء اسرّوا بها او اجهروا، ويعلم احوالهم وضمائرهم اخفوها ام لميخفوها.

﴿بَلْ قَالُوٓا۟﴾ عطف على اسرّوا (الى آخرها) فانّه فى معنى قالوا ان هذا الاّ بشر مثلكم، وكلامه الّذى اتى به سحر، واضراب عنه الى قولهم الّذي هو ابعد من القرآن.

﴿أَضْغَـٰثُ أَحْلَـٰمٍ﴾ اى القرآن صور الخيالات الّتى رآها المخبّط الّذى لاعقل له كالخيالات الّتى يراها النّائم من غير حقيقةٍ لها.

ان الكفّار يتهمون النّبى صلى الله عليه وآله باضغاث احلام

﴿بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ﴾اختلقه من عند نفسه ونسبه الى الله تعالى وهذا عطف على قالوا اضغاث احلامٍ بتقدير قالوا واضراب فى الحكاية عن القول الا بعد الى الا بعد منه، او عطف على اضغاث احلام واضراب فى المحكىّ وكان من قولهم فحكى الله ذلك لنا وعلى ایّ الشّعر من القائل بخلاف الاختلاق.

﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ اى مموّه يظهر مالاحقيقة له بصورة الحقّ بتمويهه وهذا ابعد فانّ الشّعر لقصدٍ يزيد على الاختلاق بكونه قريناً لتصرّف فى اظهاره وهذا ايضاً عطف على قالوا بتقدير قالوا او على المحكىّ.

﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ﴾ ان كان صادقاً ﴿كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ بالآيات الظّاهرة مثل العصا واليد البيضاء والنّاقة واحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص.

﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَآ﴾ يعنى باقتراحهم للآيات بقرينة ذكره بعد اقتراحهم الآيات ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ان اتاهم محمّد ﷺ بما اقترحوا.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ ردّ لانكارهم كون البشر رسولاً كما انّ الفقرة الاولى كانت ردّاً لاقتراحهم ﴿نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ كما نوحى اليك، قرئ يوحى بالياء وبالنّون.

﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ قدمضى فى

سورة النّحل تفصيل وتفسير لهذاه الآية ﴿وَمَا جَعَلْنَـٰهُمْ جَسَـدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَـٰلِدِينَ﴾ بل كانوا كلّهم معرضاً للموت غير خالدين فى الدّنيا، ردّ لقولهم مالهذا الرّسول يأكل الطّعام ويمشى فى الاسواق؟!

و لاستغرابهم طروّ المرض والموت على الرّسول المشعر به قولهم هل هذا الاّ بشر مثلكم ﴿ ثُمَّ صَدَقْنَـٰهُمُ ٱلْوَعْدَ﴾ اى وعدنا لهم بالنّصر فى قولنا انّا لننصر رسلنا وبالمنّ والامامة وايراث ما فى الارض قولنا: و نريد انّ نمنّ على الّذين استضعفوا (الآية) وبالاستخلاف فى الارض والتّمكين فى الدّين وتبديل خوفهم امناً فى قولنا وعد الله الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات (الآية) وبالانجاء من اعدائهم والظّفر عليهم وغير ذلك.

﴿فَأَنجَيْنَـٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ﴾

الاسراف ضدّ القصد والقصد استعمال الاموال والاعضاء والقوى والمدارك فيما ينبغى بقدر ماينبغى لاناقصاً منه ولازائداً عليه، فالاسراف بهذا المعنى اعمّ من التّقتير والتّبذير.

و قديستعمل الاسراف فى مقابل التّقتير والتّبذير فانّ التّبذير صرفها فيما لاينبغى صرفها فيه، والتّقتير التّقصير فى صرفها فيما ينبغى او على قدر ماينبغى.

و الاسراف صرفها فيما ينبغى زائداً على قدر ماينبغى؛

والمعنى الاوّل هو المراد ههنا لانّ المراد بالاسراف ههنا عدم الانقياد للانبياءعليهم السلام والتّقتير فى صرف المدارك والقوى فى جهة الانقياد لهم وفيه ترغيب للانقياد للنّبىّ وتهديد عن المخالفة له صلى الله عليه وآله.

﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَـٰبًا﴾ بعد ماتمّ التّرغيب والتّخويف خاطب قريشاً او العرب ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ اى صيتكم وشرفكم او سبب ذكركم بين الخلق او سبب تذكّركم للآخرة.

﴿أَ﴾ تعرضون ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ انّ فيه ذكركم او لاتصيرون عقلاء فتصيرون ظالمين ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا﴾ الجملة حاليّة وكم خبرية او استفهاميّة والقصم الكسر وهو كناية عن الاهلاك سواء اريد من قوله تعالى.

﴿مِن قَرْيَةٍ﴾ اهل القرية باستعمالها مجازاً فى اهلها، او بتقدير من اهل قرية، او اريد نفس القرية ويكون كسرها كناية عن هلاك اهلها ﴿كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ صفة قرية او جواب للسّؤال عن حال القرية، او عن علّة القصم وعلى اىّ تقدير فهو يفيد التّعليل.

﴿وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ﴾ عطف على كم قصمنا من قبيل عطف التّفصيل على الاجمال ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ اى يهربون ﴿لَا تَرْكُضُواْ﴾ جواب لسؤالٍ مقدّرٍ بتقدير القول كأنّه قيل: فما ينبغى ان يقال لهم؟ ـ قال تعالى

يقال توبيخاً وتهكّماً: لاتهربوا.

﴿وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾ اترفته النّعمة اطغته، واترف فلان على البناء للفاعل اصرّ لى البغى، واترف فلان على البناء للمفعول ترك ونفسه يصنع مايشاء، او تنعّم لايمنع من تنعمّه، او تجبّر ﴿وَمَسَٰكِنِكُمْ﴾ وقيل: انّ الملائكة بعد نزول العذاب بهم من القتل و غيره قالوا ذلك استهزاءً.

﴿لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾ اى يسألكم السّائلون من دنياكم كما كانوا يسألونكم قبل ذلك، او لعلّكم تسألون عن نعمكم كيف فعلتم بها، او تسألون عن نعمكم مالها لاتدفع العذاب عنكم؟

او لعلّكم يسألكم الانبياء عليهم السلام الايمان بهم كما كانوا قبل ذلك يسألونكم، وعلى اىّ تقديرٍ فهو للاستهزاء بهم.

﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ﴾ بعد احساس العذاب قالوا ذلك، والويل الفضيحة او هو كلمة تفجّع، او الوقوع فى الهلكة وحلول الشّرّ و هو منادى يجعله كذوى‌العقول، او المنادى محذوف والتّقدير يا قوم انظروا ويلنا.

﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ استيناف فى مقام التّعليل يعنى اعترفوا بعد معاينة العذاب بظلمهم لانفسهم او لانبيائهم او للخلق بمنعهم عن الانقياد اللانبياء عليهم السلام او بغير ذلك ولاينفعهم ذلك بعد معاينة العذاب.

﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ﴾ الدّعوى الّتى هى نداء الويل ﴿دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَـٰهُمْ حَصِيدًا﴾ كالنّبت الحصيد ولذلك لم‌يجمع او شبّههم بالزّرع الواحد المشتمل على ساقاتٍ عديدةٍ فوحّد الحصيد ﴿خَـٰمِدِينَ﴾ وصف لحصيداً او مفعول بعد مفعولٍ لكون مفعول جعل خبراً فى الاصل كناية عن الاستيصال.

قيل: كانت الآية فى اهل قريةٍ من اليمن ارسل الله اليهم نبيّاً فقتلوه فسلّط الله عليهم بختنصّر فهزموا من ديارهم فردّهم الملائكة فقتل صغارهم وكبارهم حتّى لم‌يبق لهم اسم ورسم.

في خروج القائم عليه السلام على بني اميّة

وذكر فى اخبارٍ: انّ هذه الآية نزلت فى ظهور القائم عليه السلام فانّه اذا خرج الى بنى‌اميّة بالشّام و هربوا الى الرّوم فيقول لهم الرّوم: لاندخلكم حتّى تتنصّروا فيعلّقون فى اعناقهم الصّلبان فيدخلونهم فاذا حضر بحضرتهم اصحاب القائم عليه السلام طلبوا الامان و الصّلح فيقول اصحاب القائم عليه السلام: لانفعل حتّى تدفعوا الينا من قبلكم منّا، فيدفعونهم اليهم.

فذلك قوله تعالى: وارجعوا الى مااترفتم ومساكنكم لعّلكم تسألون يسألونهم عن الكنوز وهو اعلم بها فيقولون: يا ويلنا انّا كنّا ظالمين فما زالت تلك دعويهم حتّى جعلناهم حصيداً خامدين ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ﴾ غير ناظرين الى غاية عقلانيّة وحكم ودقائق متقنةٍ فانّ اللّعب هو الفعل

الّذى يكون له غاية لكن غايته لم‌تكن الاّ خياليّة كلعب الاطفال.

كما انّ اللّهو هو الفعل الّذى لم‌يكن له غاية خياليّة ظاهرة والمقصود انّ السّماء والارض ومابينهما من كثرة الحكم والدّقائق فى خلقها وكثرة المصالح المترتّبة عليها لايمكن احصاء غاياتها المتقنة المحكمة فليس خلقتها لعباً بل كانت لتكميل النّفوس واتمام فعليّاتها حتّى تستحقّ الجزاء من الثّواب والعقاب.

﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّـآ﴾ شرطيّة فرضيّة يعنى لو اردنا اتّخاذ اللّهو لاتّخذناه بطريقٍ احسن من هذا بحيث لايطّلع عليه غيرنا و لم‌نتّخذ السّماء والارض المشهودتين لكلّ احدٍ لهواً.

و فسّر اللّهو بالزّوج ردّاً على من جعل بينه وبين الجنّة نسباً و صهراً، وبالولد ردّاً على من اثبت له الولد، ويؤيّد هذا التّفسير مايأتى كما يأتى.

﴿إِن كُنَّا فَـٰعِلِينَ﴾ تأكيد لشّرطيّة الاولى والجزاء محذوف، و قيل: ان نافية ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى ٱلْبَـٰطِلِ﴾ يظنّ انّ الانسب بتوافق المتعاطفين ان يقول بل قذفنا بالحقّ على الباطل لكن نقول انّ المراد بالحقّ هو الحقّ المخلوق به الّذى هو المشيّة المسمّاة بالولاية المطلقة.

و السّماء اعمّ من سماء عالم الطّبع، وسماء عالم الارواح،

ونفس عالم الارواح فى العالم الكبير والصّغير، وهكذا الارض ومابينهما اعمّ ممّا فى الكبير والصّغير.

وكما انّ المشيّة الّتى هى اضافة الله الاشراقيّة حقّ لاشوب باطل فيها كذلك جميع التّعيّنات والمهيّات باطلة لاشوب حقّ فيها وانّ الله تعالى بمضمون قوله تعالى: بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء على سبيل الاستمرار يطرد باضافته الاشراقيّة بطلان التّعيّنات و المهيّات وبطلان القوى والنّقائص والاستعدادات ويفنيه وكما انّه تعالى يطرد بخلقه سماوات الارواح واراضى الاشباح بطلان المهيّات بقذف الحقّ عليها ابتداءً كذلك يطرد ذلك عنها استمراراً فانّها من انفسها فى فناءٍ لابقاء لوجودها آنين، و من موجدها فى بقاءٍ بسبب تجدّد اضافات الوجود عليها.

و كما يطرد بخلقتها البطلان ابتداءً واستمراراً عن المهيّات يطرد بخلقتها البطلان و النّقائص عن القوى و الاستعدادات الّتى تكون فى عالم الاكوان، وللاشارة الى انّه تعالى يطرد البطلان عن المهيّات والاستعدادات استمراراً اتى بالمتعاطفين متخالفين.

و لفظ القذف اشعار بانّه تعالى لقوّه قدرته لامانع يمانعه عن ايصال الحقّ ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾ دمغه كمنع ونصر شجّه حتّى بلغت الشّجّة الدّماغ فهلك.

﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ مضمحلّ ﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾

الله به او من وصفكم الله باللّعب فى فعاله من دون ترتّب غاياتٍ محكمة عليها، وبالصّاحبة والولد ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يعنى انّه تعالى خالقهم و مالكهم وغايتهم فكيف يكونون شركاءه او صاحباته او ولده و هو حال فى موضع التّعليل ومؤيّد كون المراد اللّهونفى الولد و الصّاحبة.

في عدم تحسّر الّذين لايستكبرون عن عبادة الله

﴿وَمَنْ عِندَهُۥ﴾ يعنى الملائكة المقرّبين الّذين لهم مقام العنديّة بالنّسبة اليه تعالى، وهو عطف على من فى السّماوات عطف المفرد او مبتدءٌ خبره قوله.

﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ وعلى الاوّل يكون لايستكبرون حالاً عن من فى السّماوات ومعطوفه، او حالاً عن من عنده فقط والمراد بمن عنده هم المقرّبون المجرّدون عن السّماوات والارض الطّبيعتين، وتأدية مافى السّماوات والارض عن الّتى هى لذوىالعقول من باب التّغليب، او لانّه يستفادكون غيرهم له بطريقٍ اولى والمعنى لايستكبرون عن عبادته فكيف يكونون معبودين كما قال بعض او بنات له تعالى او بنين.

﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ حسر كضرب وفرح اعيا كاستحسر، وكنصر وضرب كشف وانكشف ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ ينزّهون الله عن النّقائص بلسان حالهم وقالهم وبفطرة وجودهم ولعدم جامعيّة الملائكة اقتصر على التّسبيح ولميذكر الحمد لهم.

﴿ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ اى فى اللّيل والنّهار يعنى دائماً فانّ غذاءهم التّسبيح، وعالم الملائكة المقرّبين مشتمل على ليلٍ ونهارٍ لائقين به وان كان مجرّداً عن اللّيل والنّهار المحسوسين.

فانّ الملائكة المقرّبين بجهاتهم الوجوبيّة و جهاتهم الامكانيّة وبوجوداتهم وتعيّناتهم نهار وليل، ويسبّحون الله بجميع جهاتهم وجميع مراتبهم ﴿لَا يَفْتُرُونَ﴾ لايضعفون عن التّسبيح فانّ التّسبيح كما قيل جعل لهم كالانفاس لنا.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ يعنى هذه حال من فى السّماء من انّهم لايدّعون الآلهة لانفسهم ولاينبغى لهم لانّهم عباد اذّلاء تحت قدرة الله بل هؤلآء المشركون اتّخذوا آلهةً من الارض يصحّ لهم الآلهة يدّعون الالهة.

﴿هُمْ يُنشِرُونَ﴾ يعنى يفعلون فعل الآلهة، والاتيان بالضّمير المتقدّم للاشارة الى الحصر الاضافىّ بالنّسبة الى من فى السّماء، والنّشر بمعنى الحيوة والاحياء، والانشار الاحياء و قرئ ينشرون بفتح الياء و ضمّها.

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ﴾ اى فى السّماء كما يقول من يقول بآلهة الملائكة والكواكب، والارض كما يقول من يقول بآلهة الاصنام والعجل وبعض الاناسىّ وابليس، و كما يقول الثّنويّة.

﴿ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ليست الاّ استثنائيّة لعدم صحّة الاستثناء

لفظاً ومعنىً لعدم شمول الالهة لكونه جمعاً منكّراً فى الايـجاب، وللزوم جواز صحّة تعدّد الالهة مع الله بـحسب مـفهوم مـخالفة الاستثناء.

﴿لَفَسَدَتَا﴾ لكون الآلهة حينئذٍ تامّى القدرة والاّ لميكـونوا الهة واقتضاء تماميّة القدرة صحّة تدافع كـلّ وتـمانعه عـن مـراد الآخر، فان قيل انّ مرادهما يكون قريناً للحكمة فيكون مـراد كـلّ مراداً للآخر فلايكون تدافع.

يقال: الاستدلال بصحّة التّدافع لابوقوعه، وصحّة التّدافـع مستلزمة لصحّة الفساد فيهما، وهذا هو استدلال المتكلّمين وبيانهم للآية وهو كما ترى.

و التّحقيق فى بيان الآية ان يقال: انّها اشارة الى برهان تامّ يسمّى برهان الصّدّيقين وطريقهم وهو برهان الفرجة الّذى اشار اليه الصّادقعليه السلام من لزوم الفرجة واستلزم فـرض آلهـين آلهـة ثـلاثة واستلزام الثّلاثة خمسة وهكذا فانّه لو فرض الهين فامّا ان يكونا قديمين قوّيين او حادثين ضعيفين.

او يكون احدهما قديماً قويّاً والآخر حادثاً ضعيفاً، والاخيران خلاف الفرض ومثبتان للتّوحيد، وان كانا قديمين واجبين والوجوب من صفات الوجود، والوجود كما سبق فى اوّل الكتاب متأصّل فى التّحقّق، وتحقّق كلّ متحقّقٍ يكون بتحقّقه.

و سبق انّ الوجود حقيقة واحدة لاتكثّر فيه بوجهٍ من وجوه التّكثّر، وانّ تكثّر لايكون الاّ بضمائم، فاذا كان القديمان واجبين بالّذات كانا مشتركين فى حقيقة الوجود، وتعدّدهما وافتراقهما لايكون الاّ بضميمةٍ ولااقلّ من انضمام ضميمةٍ الى واحدٍ منهما حتّى يصحّ الافتراق بالاطلاق والانضمام ولايكون الضّميمة من سنخ المهيّات والاّ لزم ان يكون الكلّ ممكناً حادثاً هذا خلاف الفرض.

بيان الملازمة انّ المركّب تابع لاخسّ اجزائه والمهيّة من حيث ذاتها لاتكون الاّ ممكنةً، والممكن لايكون الاّ حادثاً فالكلّ الّذى صارت المهيّة جزءً له لايكون الاّ ممكناً حادثاً ولاتكون من سنخ العدم وهو واضح فيكون من سنخ الوجود فيصير المفروض آلهين ثلاثةً و لمّا كانت الثّلاثة مشتركة فى حقيقة الوجود فلايكون التّعدّد الاّ بضمائم و اقلّها ضميمتان فيصير الثّلاثة خمسةً، وننقل الكلام الى الخمسة فتصير تسعةً وهكذا الى مالانهاية له وهذا البرهان بعد اتقان المقدّمات من اسدّ البراهين واتمّها لانّه يؤخذ من النّظر الى نفس حقيقة الوجود من غير اعتبار شيءٍ آخر معها.

وكما لايحصل المعرفة التّامّة بالله الاّ يرفع الحجب والمظاهر ونفى الاسماء والصّفات وكشف سبحات الجلال من غير اشارة وذات للعارف .

كما ورد عنهم عليهم السلام اعرفوا الله بالله يعنى لا بمظاهره واسمائه وصفاته لايحصل العلم التّامّ بـالله الاّ بـرفع النّـظر عـن المـعاليل والتّوجّه الى الله و تحقيق حقيقته واخذ البرهان عليه من نفس حقيقته حتّى يقال علمت الله بالله.

والحاصل انّه لو كان الواجب مـتعدّداً لزم انـقلاب الواجب ممكناً وفيه بطلان العالم وفساد السّماوات والارض لانّها ممكنة والممكن مالم يستند الى واجب لم يوجد، او صيرورة المتّعدّد واحداً وهو المطلوب، او عدم انتهاء عدد الواجب الى حدّ وهـو خـلاف المدّعى.

﴿فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ﴾ يـعنى اذا كـان التّـعدّد مـورثاً لابـطال السّماوات والارض فتنزّه الله تنزّهاً ﴿رَبِّ ٱلْعَرْشِ﴾ الّذى هو جملة المخلوقات ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ اى عن الّذى يصفونه به من الشّريك او عن وصفهم له بالشّريك.

﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ حـال او جـواب لسـؤالٍ مـقدّرٍ او معترضة والمقصود انّه لايحكم عليه بالسّؤال عنه فى افعاله ليكون دليلاً على الهته ﴿وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ يعنى يحكمون عليهم ليكـون دليلاً على عـدم آلهـتهم والضّـمير راجـع الى المـعبودين او الى العابدين والمعبودين، او الى العابدين فقط للتّهديد.

او المعنى لاينبغى ان يسأل عمّا يفعل لانّه لايفعل مايفعل الاّ

لحكم ومصالح عديدةٍ متقنةٍ لايمكن احصاؤها وهم ينبغى ان يسألون بجهلهم بالغايات وعدم اهتدائهم الى المصالح.

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ دون بمعنى تحت وفوق وبمعنى امام ووراء من الاضداد وبمعنى غير وبمعنى المكان القريب من الشّيء و المناسب ههنا ان يجعل دون بمعنى امام او عند يعنى بمعنى المكان القريب حتّى يكون تأسيساً.

فانّ قوله تعالى له من فى السّماوات والارض ومن عنده ابطل تجويز كون شيءٍ فى العالم الهاً عبد ام لميعبد، وقوله تعالى ام اتّخذوا آلهة من الارض ابطل تجويز جعل شيءٍ بالمواضعة من عند انفسهم آلهاً فان اتّخاذ الالهة من الارض سواء جعل من الارض صفة لآلهة او متعلّقاً باتّخذوا يشعر بكون الاتّخاذ بالمواضعة من عند انفسهم، لامن عندالله.

و قوله تعالى ام اتّخذوا من دونه آلهة يشعر بكون الاتّخاذ بالمواضعة الآلهيّة وباذنه واجازته كما اذا قيل جعلوا اميراً لهم من ملكهم.

و قيل: جعلوا اميراً لهم من عند الملك، فانّ الاوّل يدلّ على انّ الجعل كان بالمواضعة من عند انفسهم، والثّانى يدلّ على كون ذلك باذن الملك وتقديم من دونه ههنا على الآلهة لشرافته باضافته الى الله تعالى و هو حال من آلهةٍ او متعلّق باتّخذوا.

﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ﴾ لمّا كان الاتّخاذ بالمواضعه من عند انفسهم يستدعى صحّة الالهة فى نفس الامر للمأخوذ آلهاً ابطل آلهة المأخوذين آلهة اوّلاً بقوله على سبيل الانكار هم ينشرون وابطل آلهة مطلق مايتصّور آلهاً ثانياً بقوله لوكان فيهما (الآية) بعد مابطل الآلهة مطلق قبل ذلك بقوله: وله من فى السّماوات (الى آخرها) ولمّا كان الاتّخاذ بالمواضعة الآلهيّة لايستدعى صحّة الآلهة فى نفس الامر بل يكفى صحّة كون المأخوذ آلهاً باذن الله مظهراً لآلهة الله بخروجه من حدود نفسه وظهور ربّه فيه قال قل هاتوا برهانكم على اذن الله فى آلهة شيءٍ ممّا اخذتموها آلهة، ولمّا كان الامر للتّعجيز.

والمقصود منه نفى البرهان على المدّعى قال ﴿هَـٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ﴾ فى مقام التّعليل لعدم البرهان يعنى هذا القرآن ذكر من معى موجود واحكامهم ﴿وَذِكْرُ مَن قَبْلِى﴾ ولميكن فى احكام من معى ولا فى احكام مِن قبلى مايدلّ على اذنه تعالى فى اتّخاذ مااخذتموه الهةً ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ﴾ الاوّل تعالى وصفاته حتّى يعلموا اذنه وترخيصه فى آلهة شيءٍ او لايعلمون الحقّ الثّابت فيتفوّهون بما يتخيّلون من غير علم بحقّيّته كالمجنون.

و التّقييد بالاكثر لانّ الاقلّ منهم يعلمون بطلان الآلهة ويقولون بآلهتها لاغراضٍ نفسانيّةٍ.

وقرئ الحقّ بالرّفع خبر مبتدءٍ محذوفٍ، او مبتدء خبرٍ محذوفٍ ﴿فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ عن الحقّ لذلك ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا﴾ جملة حاليّة.

﴿مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ لمّا كان الوحى خاصّاً بالرّسول والعبادة عامّة له ولامّته افرد ضمير اليه وخاطب الجميع فى الامر بالعبادة.

و يجوزان يكون قوله ومارسلنا عطفاً باعتبار المعنى ويكون فيه معنى الاضراب والتّرقّى كأنّه تعالى قال حين قال هاتوا برهنكم هذا ذكر من معى وذكر من قبلى ليس لهم برهان على الاتّخاذ لانّ برهان هذا المطلب ليس الاّ الوحى .

وليس فى الوحى اذن و ترخيص فى اتّخاذ آله سواه بل مارسلنا قبلك من رسولٍ الاّ نوحى اليه بالتّوحيد وخلع الانداد لابالاشراك واتّخاذ الانداد.

﴿وَقَالُوا۟﴾ عطف باعتبار المعنى كأنّه قال: قالوا اتّخذنا آلهةً: او جعل الله لنا آلهة وقالوا ﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا﴾ يعنى القائلين بانّ الملائكة بنات الله والقائلين بانّ عزيراً ابن الله، والمسيح ابن الله.

﴿سُبْحَـٰنَهُۥ﴾ تنزّه تنزّهاً عن الصّاحبة والولد ﴿بَلْ﴾ الملائكة والمسيح وعزير ﴿عِبَادٌ﴾ لله ﴿مُّكْرَمُونَ﴾.

اعلم، انّ الاشياء كما سبق مكرّراً حقائقها وذواتها عبارة عن

فعليّاتها الاخيرة، واسماؤها واحكامها جارية على تلك الفـعليّات، وانّ الانسان اذا بايع البيعة الخاصّة الولويّة يحصل له فعليّة هـى فعليّته الاخيرة، وتلك الفعليّة تنعقد بالولاية كانعقاد اللّبن بالانفحة.

و بذلك الانعقاد يحصل له نسبة الى صاحب الولاية والبيعة ويعبّر عن تلك النّسبة بالبنوّة والابوّة وبحكم المنطوق الصّريح من قوله تعالى: انّ الّذين يبايعونك انّما يبايعون الله، يصدق على تلك النّسبة انّها نسبة بين العبد وبين الله.

و بهذا الاعتبار قالت اليهود: نحن ابناء الله، وبهذا الاعتبار انّ النّسبة الجسمانيّة والاضافة المعبّر عنها بالابوّة والبنوّة كانت منتفية عن المسيح، وباعتبار انّ بدنه صار محكوماً بحكم روحه .

قالت النّصارى: المسيح ابن الله ولم‌يقولوا فـى غـيره ذلك، وهكذا الحال فى عزير، ولمّا كان الاتباع تفوّهوا بهذا القول من غير تحقيقٍ وتـحصيلٍ ولم‌يـدركوا مـن الولادة الاّ الولادة الجسـمانيّة المستلزمة لمفاسد كثيرة فى حقّه تعالى ردّ الله تعالى عليهم واثبت العبديّة لهم لاالولادة والسّنخيّة.

﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾ الباء بمعنى فى او للّسببيّة ﴿وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ كان الاوفق بالمعطوف عليه ان يقول ويعملون بامره لكنّه اراد الحصر فى المسنداليه وحصر عملهم فى كونه بأمره فغيّر الاسلوب ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ المراد بما بين ايديهم كما

اسلفنا مكرّراً امّا الدنيا او الآخرة.

﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ يعلم بالمقايسة وهو جواب لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: هل يعلم الله جهة دنياهم وجهة آخرتهم حتّى يجوز له الامر فيما يحتاجون ايه فى دنياهم وآخرتهم؟

فقال: يعلم ذلك منهم.

﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ الله طينته فانّ الشّفاعة غير مقصورة على من آمن او المعنى الاّ لمن ارتضى الله ان يشفع له ﷺ فيكون فى معنى من ذاالّذى يشفع عنده الاّ باذنه.

﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ﴾ لامن غير خشيته ﴿مُشْفِقُونَ﴾ الخشية كما سبق خوف مع ترحّم فانّها حالة ممتزجة من لذّة الوصال والاستشعار بالفراق، او الفوات والاشفاق كذلك الاّ انّه قديلاحظ الهيبة فى الخشية والاعتناء فى الاشفاق والمعنى انّهم لاجهة خوف فيهم سوى جهة الخشية من الله فعلى هذا يكون من للتّعليل.

والتّقديم للحصر، او المعنى انّهم لاجل الخشية من الله مشفقون فى اهلهم، او على خلق الله، او المعنى انّهم على خشيته مشفقون يعنى انّهم بواسطة ادراك لذّة الوصال فى الجملة فى الخشية يحبّون الخشية و يخافون فوتها فيكون لفظ من صلةً للاشفاق فانّه قديتعدّى بعلى اذا لوحظ فيه جهة التّرحّم.

وقديتعدّى بمن اذا لوحظ فيه معنى الخوف ﴿ وَمَن يَقُلْ

مِنْهُمْ﴾ من الخلق او من العباد المكرمين ﴿إِنِّىٓ إِلَـٰهٌ مِّن دُونِهِۦ﴾ ظرف لغو متعلّق بيقل اى من يقل من غير اذنه انّى اله بمعنى المربّى فى الطّاعة ولذلك فسّر انّى بانّى امام.

او ظرف مستقرّ صفة لآله ولفظة من للتّبعيض اى آله ثابت بعضاً من غيره ﴿فَذَٰلِكَ﴾ اسم الاشارة البعيدة لتوهينه وتبعيده عن ساحة الحضور.

﴿نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ لآل محمّد ﷺ بغصب حقّهم او الظّالمين بمنع الحقّ عن المستحقّ واعطائه لغيره فانّه لايكون الاّ عن الانانيّة الّتى هى نحو آلهة فى مقابل الله تعالى ومغايرة له تعالى.

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ التّقدير الم ينظر الّذين كفروا ولميروا ﴿أَنَّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَـٰهُمَا﴾ يعنى انّ السّماوات و الارض الطّبيعيّتين كانتا منضمّتين مجتمعتين فى وجودٍ واحدٍ جمعيّ فى مقام المشيّة، ثمّ فى مقام العقول.

ثمّ فى مقام النّفوس ففتقناهما فى مقام الطّبع وفصّلناهما، او سماوات الارواح الاشباح كانتا رتقاً فى مقام المشيّة والعقول والنّفوس ففصّلناهما.

او السّماوات والارض الواقعتين فى العالم الصّغير كانتا رتقاً فى النّطفة والجنين ففتقناهما، او السّماوات والاراضى كانتا رتقاً

غير ممطرةٍ وغير منبتةً ففتقاناهما بالمطر و النّبات.

وعلى بعض التّفاسير استعمال الرّؤية امّا يجعلها بمعنى العلم، او بادّعاء انّ الرّتق والفتق من الحسّيّات او كالحسّيّات، وعدم الرّؤية من عدم الالتفات.

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَيٍّ﴾ عطف على فتقنا والتّقدير جعلنا من مائها كلّ شيءٍ حيٍّ بالحيوة الحيوانيّة او بالحيوة النّباتيّة و الحيوانيّة و خلق الحيوان من الماء الّذى هو النّطفة الّتى هى مادّة له وخلق النّبات من الماء الّذى هو سبب لخلقه وانباته.

او التّقدير جعلنا بعد الفتق من الماء كلّ شيءٍ حيٍّ ﴿أَ﴾ يعرضون عن تلك الآيات الّتى هى آيات علمه وحكمته وقدرته و تصرّفه تعالى فى الجليل و الحقير.

﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ ولايذعنون به ﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾ بعد فتقهما ﴿أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ قدسبق الآية بتنزيلها و تأويلها.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا﴾ جمع الفجّ الطّريق الواسع بين الجبلين، او مطلقاً كالفجاج بالضّمّ ويستفاد من تنزيل الآية السّابقة و تأويلها بيان هذه ﴿سُبُلاً﴾ بدلٌ من فجاجاً.

﴿لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ الى معايشهم و مصالحهم ومنافعهم ودفع مضارّهم والى بلادهم الصّوريّة ومواطنهم الحقيقيّة ﴿وَجَعَلْنَا

ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ من الاندراس والفناء الى الوقت المعلوم، او من الوقوع على الارض، او من الاستراق السّمع.

﴿وَهُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ فانّ الآيات الدّالّة على وجود الصّانع وعلمه وحكمته واعتنائه بخلقه وقدرته كثيرة وهم مثل اهل زماننا كانوا لايعتبرون بها بل كانوا عنها معرضين.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ الّذين هما من آياتها و بها يناط اكثر الآثار السّفليّة، والجملة عطف على قوله: هم عن آياتها معرضون، او حال عن الفاعل المستتر فى معرضون او عن آياتها، كما انّ قوله وهم عن آياتها معرضون.

حال عمّا سبق والمعنى جعلنا السّماء سقفاً محفوظاً كثير الآيات و الحال انّهم معروضون عن آياتها غير ناظرين اليها والحال انّا خلقنا اللّيل والنّهار اللّذين هما مشهودان لهم وهما من آيات السّماء و يترتّب عليهما حكم ومصالح كثيرة ولاينبغى الغفلة والاعراض عنهما.

﴿وَ﴾ خلقنا ﴿ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ اللّذين هما من اعظم آياتها ولايتكوّن متكوّن الاّ بتأثيرهما، وكلّ من نظر اليهما بالتّأمّل الّذى هو من شأن الانسان يدرك انّهما اعظم قدراً واكثر اثراً واشدّ ظهوراً من ان يغفل عنهما او لايدرك منهما دلالتهما على مبدءٍ عليمٍ حكيمٍ قدير.

﴿كُلٌّ﴾ من الشّمس والقمر ﴿فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ كان الظّاهر ان يقول: كلٌّ فى فلكٍ يسبح ان قدّر كلٌّ منهما او يسبحان او يسبح ان قدّر كلّهما بمعنى كليهما لكنّه تعالى للاشعار بكثرة افراد كلّ من الشّمس والقمر طولاً كماورد: انّ وراء عين شمسكم هذه تسعاً وثلاثين عين شمس، ووراء قمركم هذا تسعة وثلاثين قمراً، وبكثرة افرادهما عرضاً كما شاع فى زماننا من حكماء الافرنج انّ الكواكب بعضها شموس منيرة بذاتها، وبعضها اقمار مستنيرة من غيرها، اتى بالعبارة هكذا ليكون المعنى كلّ جماعة من افراد الشّمس وافراد القمر فى نوعٍ من الفلك روحانىٍّ او جسمانىٍّ يسبحون فانّ الافلاك كالكواكب كماتكون روحانيّة كماقيل:

آسمانهاست در ولايت جان کارفرماى آسمان جهان

والاتيان بضمير ذوى‌العقول للاشارة الى انّه ذووشعورٍ وعلم كماقيل:

خرمگس خنفسا حمار قبان

همه با جان و مهر و مه بى‌جان

واستعمال السّباحة لتشبيه الفلك بالبحر والنّهر وتشبيه الكواكب بالسّابح ﴿وَمَا جَعَلْنَا﴾ التفات من الغيبة الى التّكلّم كما كان ماقبله التفاتاً من التّكلّم الى الغيبة وهو عطف اوحال عن سابقه وانكارٌ لما قالوا من انّانتربّص به ريب المنون .

كأنّه قال: وخلقنا اللّيل والنّهار المفنيين بتعاقبهما كما هو مشهود لك وللجميع جميع النّفوس والمواليد وماجعلنا ﴿لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ خارجاً من سنّة افناء اللّيل والنّهار حتّى تترقّب او يترقّبوا لك الخلود.

﴿أَ﴾ ينتظرون موتك دون موتهم ﴿فَإِنْ مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ تعليل لانكار الخلود ﴿وَنَبْلُوكُم﴾ عطف على كلّ نفسٍ ذائقة الموت، او على ماجعلنا والاختلاف بالاسميّة والفعليّة او بالمضىّ والاستقبال لاشعار بانّ الاختبار مستمرّ من الاماضى الى الاستقابل ﴿بِالشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ﴾.

اعلم، انّ الانسان ذومراتب ولكلّ مرتبةٍ منها شرّ وخير خاصّان بها فانّ المرتبة الحيوانيّة خيراتها ملائمات شهواته وغضباته، والمرتبة البشريّة خيراتها ملائمات هذه لكن مع عدم الخروج عن انقيادالعقل، المرتبة القلبيّة ملائماتها العلوم والاوصاف الجميلة، وشرور كلٍّ منافراته؛ وهكذا.

و قديكون خيرمرتبة شرّاً لمرتبةٍ اخرى، وقديكون خيراً و قدلايكون شرّاً ولاخيراً، ومعنى الابتلاء الاختبار والخلاص ممّا لاينبغى ان يكون مع الانسان، والاختبار بشرّ المراتب واضح والاختبار بخيرها بان ينظر هل يشكر ويتوجّه فى الخير الى مفيض الخير او يطغى ويلهو عنه.

فانّ فى الشّكر خلاصاً للطّيفة الانسانيّة من الشّوائب وللنّفس من الرّذائل، وفى الطّغيان خلاصاً للّطيفة السّجّينيّة من شوائب العلّيّين و للنّفس من شوب الخصائل.

﴿فِتْنَةً﴾ مصدر من غير لفظ الفعل ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ وعد ووعيد وهو عطف على كلّ نفسٍ ذائقة الموت، ومفيد للتّعليل لانكار الخلود مثل سابقه، روى انّ اميرالمؤمنينعليه السلام مرض فعاده اخوانه فقالوا: كيف نجدك يا اميرالمؤمنينعليه السلام؟

قال: بشّر، قالوا: ماهذا كلام مثلك! قالعليه السلام: انّ الله تعالى يقول ونبلوكم بالشّرّ والخير فتنة.

فالخير الصّحّة والغنى، والشّرّ المرض والفقر ﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ بالله او بك او بعلىّعليه السلام.

﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ﴾ هو جواب لاذا ولميأت بالفاء فى الجواب مع لزوم الفاء فى الجواب المنفىّ بان امّا لتقدير الفاء او لحذف الجواب بقرينة هذه الجملة والتّقدير اتّخذوك هزءً ان يتّخذونك ﴿إِلَّا هُزُوًا﴾ مهزوّاً به و هو مصدر بمعنى اسم المفعول.

﴿أَهَـٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ حال بتقدير القول اى قائلين: اهذا الّذى كان بيننا وكان ضعيفاً فينا هو الّذى يذكر آلهتكم بسوءٍ ويعيبهم؟! والحال انّهم اولى بالاستهزاء لانّهم معرضونعن الله وعن خلفائه.

﴿وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ هُمْ كَـٰفِرُونَ﴾ تكرار المسنداليه بالضّمير للتّأكيد وللحصر الادّعائى كأنّهم لا كافر سواهم، وتقديم الظّرف على عامله لشرافته بالاضافة الى الرّحمن وللحصر ايضاً.

يعنى انّ للاشياء جهتين، جهة ذكر الرّحمن وجهة ذكر الشّيطان وهوى النّفس وانت تعيب عليهم الهتهم بجهتها الشّيطانيّة لابجهتها الرّحمانيّة فانت اولى بالتّصديق والتّبجيل وهم كافرون من الاشياء جهة ذكرها للرّحمن ناظرون الى جهة ذكرها للشّيطان، فهم اولى بالاستهزاء و احقّ بالتّوهين.

او المراد بالذّكر القرآن او الرّسالة اولولاية فانّ الكلّ ذكر لله، والباء فى قوله بذكر الرّحمن سببيّة اوصلة كافرون.

مناسبة خلقة الانسان من عجل

﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ جملة منقطعة عن سابقها لفظاً ومعنىً، او مرتبطة معنىً جوابٌ لسؤال كان مذكوراً او مقدّراً كأنّه ﷺ قال: او امّته مستبطئين لمؤاخذاتهم الى مَ تمهلهم؟

فقال: خلق الانسان من عجل و هذه عبارة دائرة فى العرب والعجم اذا أرادوا المبالغة فى امرٍ يقولون: انّه خلق من هذا الامر كأنّه جعل ذلك الامر مادّة خلقته.

و فى الخبر انّ آدم عليه السلام لمّانفخ فيه الرّوح ارادان يقوم قبل اتمام النّفخ فقال تعالى: خلق الانسان من عجلٍ.

﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَـٰتِى﴾ فى مؤخذة المستهزئين ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾

فی حلول العذاب بهم، وهذه الآیة بهذا التّفسیر تدلّ علی انّ قوله خلق الانسان من عجلٍ مرتبط معنیً بسابقها ﴿وَ يَقُولُونَ﴾ عطف علی قوله اهذا الّذی یذکر آلهتکم فانّه فی التّقدیر یقولون: اهذا الّذی یذکر الهتکم کما اشرنا الیه ویقولون استهزاءً بنحوٍ آخر.

﴿مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ الّذی تعدون من وعد القیامة او وعد العذاب ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ فی وعدکم ﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ اتی بالاسم الظّاهر تصریحاً بکفرهم واشعاراً بعلّة الحکم ﴿حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ﴾ حین مفعول یعلم ولو للشّرط والجزاء محذوفٌ والمعنی لو یعلمون وقت احاطة النّار بهم فی الجحیم او فی البرزخ وعدم قدرتهم علی دفعها لعلموا ایٌّ منهم ومنکم احقّ بالاستهزاء او لماستهزؤا او لماستعجلوا الوعد، او لو للشّرط وحین ظرف والمعنی لو یکون لهم علمٌ فی وقت احاطة النّار بهم یعلمون ماحلّ بهم من العذاب او لو للتّمنّی وحین علی الوجهین.

﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ یعنی لایقدرون علی دفع العذاب بأنفسهم ولایعینهم معین آخر ﴿بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً﴾ اضراب من عدم علمهم المستفاد من لو یعلمون او اضراب عن عدم کفّهم والضّمیر للنّار او للعدة او للقیامة المعهودة بینهم ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾ ای تحیّرهم بحیث لایبقی لهم شعور و تدبیر لدفعها.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾ عن انفسهم ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ لتدبير دفعها او لتوبة ومعذرة، او لجبران مافات منهم بالأعمال الصّالحة ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ تسلية له صلى الله عليه وآله عن استهزاء قومه ﴿فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ اى القول و العمل الّذى كانوا به يستهزؤن.

او العذاب الّذى كانوا به يستهزؤن ﴿قُلْ﴾ ردّاً عليهم فى اتّخاذ الآلهة ﴿مَن يَكْلَؤُكُم﴾ اى يحفظكم ﴿بِالَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ﴾ اى من عقوبته او من قبله ان اراد بكم سوءً والمقصود حملهم على الاقرار بعجز الآلهة.

و هذه الآية مثل سوابقها تعريض بمن اتّخذ من دون علىٍّ عليه السلام اولياء ﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم﴾ تذكّر ربّهم المطلق او ربّهم المضاف او عمّا يذكّرهم به ربّهم من الآيات الآفاقيّة والانفسيّة والآيات العظمى الّتى أعظمها علىّ عليه السلام.

او المراد بذكر ربّهم القرآن او محمّد صلى الله عليه وآله او علىّ عليه السلام ابتداء ﴿مُّعْرِضُونَ﴾ و لهذا لايتذكّرون انّ آلهتهم عاجزون وان ليس الحافظ من سخط الله الاّ الله.

﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ عطف باعتبار المعنى كأنّه قال: الهم آلهة تكلؤهم من عقوبة الرّحمن او حالكونها من قبل الرّحمن ام لهم آلهة ﴿تَمْنَعُهُم﴾ من عذابنا او من حوادث الزّمان حالكونها ﴿مِّن دُونِنَا﴾

من غيرنا اوحالكونها من عندنا.

﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ ﴾ استيناف جواب لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: فما شأن آلهتهم؟ ـ فقال: لايستطيعون نصر انفسهم فكيف بغيرهم ﴿وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾ اى يحفظون من: اصحب فلاناً واصطحبه اى حفظه ومنعه، والمعنى انّ آلهتهم لايستطيعون نصر انفسهم وليسوا بأنفسهم محفوظين من قبلنا، او ليسوا محفوظين من عذابنا لابأنفسهم و لابغيرهم.

﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ يعنى ليس لهم آلهة بل متّعنا هؤلاء ﴿وَءَابَآءَهُمْ﴾ بالاموال والاولاد والاعمار والصّحّة والا من ﴿حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾ فاغترّوا بتمتيعنا واتّبعوا اهواءهم.

﴿أَ﴾ اغترّوا بتمتيعنا وغفلوا عن الرّجوع الينا ﴿فَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ﴾ برسلنا ﴿ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ﴾ باذهاب النّفوس النّازلة من عالم الارواح اليها المثقّلة لها الّتى تزيدها عن قدرها، ولمّا كان النّفوس السّفليّة الشّيطانيّة كأنّها لاتنتقل من الارض بالموت فسّر نقصان الارض بموت العلماء فى اخبارنا.

وقيل: انّ المعنى ننقصها من اطرافها بظهور المسلمين على الكافرين بنقصان ديار المقاتلين واراضيهم وازدياد ديار المسلمين واراضيهم لكن هذا لايناسب سوق العبارة فى المقام.

﴿أَفَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾ على امرنا وحكمنا وقدمرّت الآية فى

سورة الرّعد ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ﴾ بسبب وحي الله اليّ بالانذار لابسبب الهوى كما انّ تخويفاتكم تكون بالهوى او انذركم بما أوحى اليّ لابما اتخيّل من نفسى مثلكم ولكن لاينفعكم انذارى لانّكم صمّ.

﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ﴾ اى النّداء ﴿إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ فلاينتفعون ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾ يعنى انّهم يستعجلون بالعذاب ولئن مسّتهم نفحة من عذاب ربّك، النّفحة الدّفعة من نفح الطّيب ونفح الرّيح بمعنى هبّت، ونفح العرق نزا والنّفحة من العذاب القطعة منه.

﴿لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ﴾ كالعاجز عن الدّفع والاستنصار من غير توسّل بالالهة ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ يعنى اعترفوا بظلمهم فى اتّخاذ الآلهة من دون الله او الاولياء من دون وليّ الامر.

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾ الميزان مايوزن ويقاس به مقدار الشّيء وحاله سواء كان ذلك ذاالكفّتين .

او القبّان او الزّرع او مقياس البنّاء والمسّاح، او احكام الشّرائع والملل، او آداب الطّريق والسّلوك، او كتب الله السّماويّة، او وجود خلفاء الله تعالى بأعمالهم وأقوالهم وأحوالهم وأخلاقهم ومراتب وجودهم.

ولمّا كان الميزان فى الآخرة كثيرة بحسب النّشآت ومراتب

الاشخاص جمع الموازين بالجمع الدّالّ على الكثرة وقدسبق في اوّل سورة الاعراف تحقيق وتفصيل للوزن والميزان.

و القسط بمعنى العدل ومن المصادر الّتي يوصف بها، يستوى فيه الواحد والجمع والمؤنّث والمذكّر ﴿لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ اى في يوم القيامة، او للنّاس في يوم القيامة، او لحساب يوم القيامة ﴿فَلَا تُظْلَمُ﴾ بنقص ثواب او زيادة عقاب، او بثواب في موقع العقاب، او بعكس ذلك ﴿نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ هو مفعول ثانٍ لتظلم او قائم مقام المصدر.

﴿وَإِن كَانَ﴾ العمل ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ اى مقدار حبّة من خردلٍ، وقرئ مثقال حبّة بالرّفع على جعل كان تامّةً ﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾ وقرئ بالمدّ من باب الافعال او المفاعلة ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ الجملة معطوفة على قوله لئن مسّتهم، او على قوله ونضع الموازين.

في صفات المتّقين و الخشية بالغيب

والاوّل اولى لتوافق المتعاطفين في الانشاء، فانّ لام لقدآتينا موطّئة للقسم، والثّاني اوفق بحسب تناسب المعنى فانّ وضع الموازين ليوم القيامة يناسب اتيان الفرقان لموسى لانّه ايضاً ميزان فكأنّه قال: نضع الموزين القسط ليوم القيامة و ءاتينا موسى في الدّنيا الميزان القسط الّذى هو التّوراة الفارقة بين الحقّ والباطل.

﴿وَضِيَآءً وَذِكْرًا﴾ من قبيل عطف او صافٍ عديدةٍ لشيءٍ

واحدٍ على ان يكون الفرقان والضّياء والذّكر اوصافاً للتّوراة، او من قبيل عطف المتباينات ان اريد بالفرقان التوارة او فلق البحر، او سائر المعجزات وبالضّياء والذّكر غيرها ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ متعلّق بآتينا.

وكون الفرقان للمتّقين لكونهم منظورين من اتيانه ومنتفعين به، او صفة لضياء وذكراً، او لذكراً فقط.

﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ صفة بيانيّة للمتّقين، و بالغيب حال من ربّهم او من فاعلِ يخشون، والباء للظّرفيّة، او للمصاحبة، او الباء للسببيّة، والظّرف لغو متعلّق بيخشون اى يخشون بسبب غيب اعمالهم من حيث الصّحّة والبطلان او بسبب غيب جزاء اعمالهم ، او بسبب غيب موارد وعده ووعيده عنهم.

﴿وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ قدمضى قبيل هذا بيان الخشية والاشفاق ﴿وَهَـٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾ كثير البركة والخيرات وهو ميزان اهل هذا الزّمان فى الدّنيا ﴿أَنزَلْنَـٰهُ﴾ قدمضى انّ الاتيان بالايتاء فى وصف كتاب موسىعليه السلام وبالانزال والتّنزيل فى وصف كتاب محمّد صلى الله عليه وآله تشريف للقرآن.

﴿أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ بعد وضوح صدقه وحجّته وبعد كونه ذانظيرٍ فى السّابقين.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ﴾ مابه رشده من الحجج والبراهين او الرّشد اللاّئق بحاله من الاهتداء الى كمالاته ﴿مِن

﴿قَبْلُ﴾ اى من قبل القرآن او من قبل موسى ﴿وَكُنَّا بِهِۦ﴾ اى برشده او بابراهيم ﴿عَـٰلِمِينَ إِذْ قَالَ﴾ ظرف لآتينا او لعالمين ﴿لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَـٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾ جمع التّمثال بالكسر وهو الصورة والاغلب استعماله فيما لاروح له.

﴿ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَـٰكِفُونَ﴾ اللاّم بمعنى على او للتّقوية فانّ العكوف يتعدّى بنفسه ويكون بمعنى الحبس، وبعلى ويكون بمعنى الاقبال، ويجوزان يتضمّن معنى العبادة فيكون اللاّم للتّقوية ايضاً.

﴿قَالُوا۟﴾ فى الجواب مثل اهل كلّ زمانٍ ﴿وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَـٰبِدِينَ﴾ فانّ النّاس لغلبة المدارك الحسّيّة عليهم لايتجاوزن عن المحسوس ولايتأمّلون فى المحسوس وفى صحّته وبطلانه خصوصاً فيما رأوه من اوّل التّمييز من الآباء من القوم ويتلقّونه ويتمسّكون به من غير حجّة ولذلك اكتفوا فى الجواب بذكر تقليد الآباء من غير ابراز حجّةٍ فانّ السّوال وان كان بلفظ ماالدّال على طلب الحقيقة لكنّ المقصود كان انكار عبادتها وينبغى ان يجيبوا بما يصحّح العبادة لها.

اعلم، انّه كما نقل كان بين اوصياء آدم وشيث وبين نوح رجال صالحون كان النّاس يأنسون بهم فلمّا ارتحلوا دخل النّاس حزن شديدٌ فصنع بعض الصّلحاء لأنس النّاس ورفع حزنهم تماثيل

اولئك الصّلحاء وكانوا يزورونها ويأنسون بها.

فلمّا تمادى الزّمان وارتحل الآباء وبقى التّماثيل للاولاد واولاد الاولاد جاء الشّيطان اليهم وقال: كان آباؤكم يعبدون هذه التّماثيل واغترّوا بها وبعبادتها.

وقيل: كان تلك التّماثيل تماثيل الكواكب كانوا يزورونها ويتوسّلون بها فى حوائجهم كما انّ شريعة العجم المنسوبة الى مهاباد كانت على ذل، ﴿قَالَ﴾ ابراهيم عليه السلام ردّاً لهم فى عبادتهم وفى تقليدهم ﴿لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّـٰعِبِينَ﴾ ينى تصدق ام تمزح؟

﴿قَالَ﴾ بعد انكار ربوبيّتها لحصر الرّبوبيّته فى الله ﴿بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ﴾ ادّى الدّعوى بحيث يدلّ عقد الحمل على صحّتها، وتوصيف المحمول بالّذى فطرهنّ يدلّ على صحّة عقد الحمل.

﴿ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴾ يعنى ليس قولى هذا عن مزاح ولعب بل عن جدٍّ ومواطاة قلبٍ.

﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَـٰمَكُم﴾ اى لأفعلنّ بها فى خفيةٍ مالايلائمها ﴿بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ﴾ حال مؤكّدة او مقيّدة باعتبار انّ التّولية بمعنى الاقبال والادبار، وهكذا التّولىّ.

قيل: انّما قال ذلك فى السّرّ من اصحاب نمرود ولم يسمع

ذلك الاّ رجلٌ منهم فأنشاه، قيل: كان موعد عيدٍ لهم فكرهوا خروج ابراهيم عليه السلام معهم ووكّلوه ببيت الاصنام، او انّه تمارض كما فى الآية وتخلّف عنهم فخرجوا صغيرهم وكبيرهم الى عيدٍ لهم فدخل بيت الاصنام وأخذ القدوم وكسر الاصنام.

﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا﴾ الجذاد بتثليث الجيم اسم من الجذّ بمعنى القطع والاستيصال وقرئ‌ههنا بالضّمّ والكسر ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ فى الخلقة او فى التّعظيم وعلّق الفاس فى عنقه وخرج ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ﴾ اى الى ابراهيم او الى الكبير ﴿يَرْجِعُونَ﴾ فيسألون ابراهيم عن حال الاصنام وكسر هنّ ولينبّههم على جهلهم بذلك او يسألون الكبير فينبّهون انّه ليس قابلاً للسّؤال فضلاً عن العبادة.

﴿قَالُواْ﴾ جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: فما قالوا بعد مارجعوا الى الاصنام ووجدوها مكسّرة؟ فقال: قالوا ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ﴾ ان كان من استفهاميّة فالوقف ههنا، وان كان موصولة فقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ خبره.

و ان كان شرطيّة فهو جزاؤه لكن بتقدير الفاء والمقصود انّه ظالم على نفسه بجعلها عرضةً للقتل والسّياسة، او ظالم على آلهتنا.

﴿قَالُواْ سَمِعْنَا﴾ يعنى قال بعضهم فى جواب هذا القائل: سمعنا قبل ذلك ﴿فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ ويعيب فيهم ﴿يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ قَالُواْ﴾ اى قال القوم للجماعة الّذين قالوا سمعنا فتىً يذكرهم.

﴿فَأْتُوا بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾ فاكشفوه بالاتيان به على اعين جميع النّاس حتّى يعرفوه ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ بما سمعتم منه او لعلّهم يشهدون على اقراره بان يقرّ بهذا الفعل فشهدوا على اقراره او لعلّهم يحضرون عذابه وعقوبته فجاؤا به وساءلوه.

﴿قَالُوٓا۟﴾ فى حمله على الاقرار ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَـٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ ماانا فعلته ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا﴾ لمّا كان السّؤال عن الفاعل بعدكون الفعل مسلّم الوقوع كان الموافق للجواب ان يقول: بل كبيرهم فعل ليكون اثباتاً للفعل المسلّم للكبير ونفياً له عن غيره لكنّه قدّم الفعل لانّه ارادان يبرز الفعل مبرز المفروض.

لانّ هذه القضيّة من القضايا الفرضيّة المتداولة فى العرب والعجم، والانسب بالقضايا الفرضيّة ان يكون الفعل فرضيّاً ايضاً فانّها فى التّقدير هكذا بل فعله كبيرهم ان كان ماتقولون من انّهم آلهة حقّاً لانّ كسر الآله لايتمشّى الاّ من الآله ولانّ الكبير ينبغى ان ينفى الغير عن الآلهة ويكسره لاقتضاء كلّ منهم التّفرّد بما فيه كماله، وقيل: انّها قضيّة مفروضة وشرطها قوله

ان كانوا ينطقون، وقيل: انّ المراد به لتّعجيز والالزام وليس باخبارٍ حتّى يكون كذباً، وقيل: انّ الوقف على فعله وكبيرهم ابتداء كلام وهو بعيدٌ لفظاً ومعنىً فانّ التّقدير حينئذٍ فعله ويكون جواباً

بالفعل عن السّؤال عن الفاعل ويكنون حذفاً للفاعل او اضماراً له من غير قرينة ومرجع، وروى انّه مافعله كبيرهم وما كذب وقدعلم وجهه.

ونسب الى الخبر انّ ابراهيم كذب ثلاث كذبات قوله: انّى سقيم.

و قوله: بل فعله كبيرهم، وقوله فى سارة لمّااراد الجبّار اخذها و كانت زوجته انّها اختى.

﴿فَسْـَٔلُوهُمْ﴾ يعنى فاسئلوا جميعهم ﴿إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾ والامر للالزام والاقرار بعدم النّطق حتّى يقرّوا بعدم الآلهة، والاتيان بضمائر ذوىالعقول كان موافقاً لاعتقادهم او للاستهزاء ﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ يعنى صرفوا وجوههم عن ابراهيم عليه السلام وتوجّه بعضهم الى بعضٍ، او رجعوا الى عقولهم من عاداتهم وادركوا بعقولهم صدق مقالته.

﴿فَقَالُوٓاْ﴾ اى قال بعضهم خطاياً لجيمعهم ﴿إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ فى نسبة الآلهة الى مالايقدر على دفع الضّرّ عن نفسه ولاعلى النّطق، او فى نسبة الظّلم الى من كسر الاصنام، او فى ارادة السّوة بمن كسرها، او فى السّؤال عن ابراهيم لاعن الاصنام وليس ابراهيم ظالماً كما تفوّهم به بقولكم: من فعل هذا بآلهتنا انّه لمن الظّالمين.

﴿ثُمَّ﴾ انتقلوا من عقولهم الى انفسهم وعاداتها واهـويتها و ﴿نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ شبّههم فى الانصراف من العـقول الى عادات النّفوس بمن نكس عن الاستقامة فجعل رأسه فى الاسـفل ورجليه فى الاعلى واعترفوا بما هو حجّة عليهم قائلين.

﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ يا ابراهيم ﴿مَا هَـٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ يعنى بعد مااعترفوا بانّهم هم الظّالمون حاجّوه بما هو حجّة عـليهم ﴿قَـالَ﴾ ابراهيم عليه السلام.

﴿أَ﴾ تجهلون او لاتعقولون ﴿فَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَـا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا﴾ هو فى محلّ المصدر او منصوب بنزع الخافض ﴿وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ يعنى بعد ماعلم انّهم لايقدرون على دفع الضّرّ عن انفسهم علم انّهم لايقدرون على جلب النّفع ودفع الضّرّ عن الغير، ومالاينفع ولايضرّ لايستحق العبادة.

﴿أُفٍّ لَّكُمْ﴾ بعد مابان قبح صنيعهم بحيث لايمكنهم انكار قبحه اظهر الانزجار منهم ومن معبوداتهم، وافٍّ كلمة انزجارٍ وبـه يظهر التّضجّر.

﴿وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ قَالُواْ﴾ بعد العجز عن الحجّة كماهو ديدن اهل كلّ زمانٍ مـن التّـوسّل بـالقتل والشّتم وسائر التّهديدات مثل التّكفير والتّفسيق بـعد العـجز عـن الحجّة والعلم بالخطيئة من انفسهم

﴿حَرِّقُوهُ﴾ يعنى بعد مااستشار نمرود منهم قالوا:حرّقوه.

و لذلك قال الصّادق عليه السلام: انّ فرعون ابراهيم عليه السلام واصحابه كانوا لغير رشده وكان فرعون موسى واصحابه لرشده.

فانّه لمّااستشار اصحابه فى موسى عليه السلام قالوا: ارجه واخاه وارسل فى المدائن حاشرين.

﴿وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ يعنى لاتنظروا الى مقالته فانّكم لاتقدرون على محاجّته وانصروا آلهتكم.

قيل: فجمعوا له الحطب حتّى انّ الرّجل منهم ليمرض فيوصى من ماله لاشتراء الحطب والمرأة تغزل فتشترى به حطباً فلمّا، اردوا ان يلقوا ابراهيم فى النّار ولميقدروا على قربها لشدّتها جاء ابليس ودلّهم على المنجنيق وهو اوّل منجنيقٍ صنعت فوضعوه فيها ثمّ رموه فى النّارفلمّا رموه فيها.

﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا﴾ فانّ النّار وان كانت بالنّسبة الينا جماداً لايصحّ خطابها وامرها لكنّها بالنّسبة اليه تعالى عاقلة شاعرة مأمورة.

﴿وَسَلَٰمًا﴾ فى الخبر انّ ابراهيم بعد ماقال الله كونى برداً اضطريت اسنانه حتّى قال وسلاماً ﴿عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ لو لميقل على ابراهيم لصارت برداً وسلاماً الى آخر الابد على كلّ احد ولذلك كانت تحرق غير ابراهيم .

فى مقايسة نمرود و فرعون موسى عليه السلام

فى امره تعالى على النّار بان تبرد لابراهيم عليه السلام

و فى الخبر لمّا وضعوه فى المنجنيق التقى معه جبرئيل فى الهواء فقال: يا ابراهيم هل لك اليّ من حاجة؟

فقال ابراهيم امّا اليك فـلا، وامّـا الى ربّ العـالمين فـنعم، وانحطّ جبرئيل وجلس معه يحدّثه فى النّار ونظر اليه نمرود

فقال: من اتّخذ لهاً فليتّخذ مثل آله ابراهيم، فقال عظيم من عظماء اصحاب نمرود انّى عزمت على النّار ان لاتـحرقه فـخرج عمود من النّار نحو الرّجل فأحرقه فآمن له لوط،

نقل انّه بعد ماآتى بابراهيمعليه‌السلام الى نمرود وعلم نـمرود انّـه ابن‌آزر فقال لآزر: خنتنى وكتمت هذا الولد عنّى، فقال: هذا عمل امّه فدعا نمرود امّه فقال لها: ماحملك على ان كـتمتنى امـر هـذا الغلام حتّى فعل بآلهتنا مافعل .

فقال: ايّها الملك نظراً منّى لرعيّتك قال: وكيف ذلك؟ ـ قالت رأيتك تقتل اولاد رعيّتك فكان يذهب النّسل فقلت: ان كـان هـذا الّذى يطلبه دفعته اليه ليقتله ويكفّه عـن قـتل اولاد النّـاس، وان لم‌يكن يبق لنا ولدنا وقدظفرت فشانك فكـفّ عـن اولاد النّـاس وصوّب رأيها.

و وجه عدم احراق النّار لابراهيمعليه‌السلام ماشرنا اليـه فـى اوّل سورة بنى‌اسرائيل و فى غيرها من غلبة الملكوت على الملك و بعد غلبة الملكوت على الملك يرتفع حكم المـلك فـلا يـحرق النّـار

الملكيّة الجسم الملكوتيّ.

﴿وَ﴾ من تلك الغلبة يقع طيّ الارض والسّير على الماء والهواء من غير غرقٍ وسقوط و ﴿أَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾ لانّهم فعلوا مايطفؤن به نور الله فى الارض فجعلنا غاية جهدهم حجّة صدق ابراهيم ودليل خسرانهم.

و لمّارأوا انّه لم‌يحرقه النّار امر نمرود ان ينفوه من بلادهم و ان يمنعوه من الخروج بما شيته و ماله فحاجّهم ابراهيم عند ذلك فقال: ان اخذتم بما شيتى و مالى فانّ حقّى عليكم ان تردّوا علىّ ماذهب من عمرى فى بلادكم و اختصموا الى قاضى نمرود فقضى على ابراهيم عليه السلام ان يسلّم اليهم جميع مااصاب فى بلادهم و قضى على اصحاب نمرود ان يردّوا على ابراهيم عليه السلام ماذهب من عمره فى بلادهم.

فأخبر بذلك نمرود فأمرهم ان يخلّوا سبيله و سبيل ماشيته و ماله و ان يخرجوه و قال: انّه ان بقى فى بلادكم افسد دينكم واضرّ بالهتكم ﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ﴾ يعنى نجّيناهما الى الشّام.

قيل: بركته العامّة ان اكثر الانبياء بعثوا منه فانتشرت بركاتهم الدّنيويّة والاخرويّة فى العالم وانّه اشرف بقاع الارض من حيث النّعم الصّوريّة.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ﴾ بعد خروجه الى الشّام وبقائه فيها

مدّة مديدة ﴿وَ يَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ عطيّة فانّ النّافلة العطيّة والغنيمة والنّفل النّفع ﴿وَكُلاًّ﴾ اى كلّ الاربعة او الثّلاثة او الاثنين.

﴿جَعَلْنَا صَـٰلِحِينَ وَ جَعَلْنَـٰهُمْ أَيِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ لابأمر الشّيطان ولابأمر انفسهم ولابشراكة شيءٍ منهما.

﴿وَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ﴾ مثل الوحى الى رسلنا فانّهم كانوا رسلاً ﴿فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ مطلقة ﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ مخصوصة اسقط التّاء عن المصدر لقيام المضاف اليه مقامه ﴿وَ إِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ مخصوصة لكون الصّلوة والزّكوة اهمّ الخيرات بل لان ليس الخيرات الاّ الصّلوة والزّكوة ولذلك صرّح بهما بعد ذكرهما عموماً.

﴿وَكَانُواْ لَنَا عَـٰبِدِينَ﴾ لالغيرنا من الشّيطان والنّفس والهوى، اشارة الى مقام الاخلاص الّذى هو قرّة عين السّالكين ﴿وَ لُوطًا﴾ عطف على كلاًّ او على مفعول جعلناهم عطف المفرد، او منصوب من باب الاشتغال.

والجملة معطوفة على جملة كلاًّ جعلنا صالحين ﴿ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا﴾ حكمةً علميّة ﴿وَ عِلْمًا﴾ تنكير الحكم والعلم للاشارة الى انّ ماآتاه كان يسيراً من كثير.

﴿وَ نَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ﴾ فى اسناد عمل الخبائث الى القرية مجازٌ عقليٌّ او فى اطلاق القرية على اهلها مجاز لغوىّ، او هو مجاز فى الحذف.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ﴾ بفتح السّين اسم من المساء، واضافة القوم اليه للاشعار بالمبالغة فى مساءتهم كأنّهم صاروا قوماً له ومنستبين اليه.

﴿فَـٰسِقِينَ وَأَدْخَلْنَـٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ﴾ فى دار رحمتنا او فى رحمتنا الّتى هى الولاية بان حقّقناه بها ﴿إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ المستعدّين لذلك فلميكن فعلنا جزافاً من غير سببٍ.

﴿وَنُوحًا﴾ عطف على لوطاً، او على مفعول نجّينا،او بتقدير سمعنا او شرّفنا او اذكر او ذكرّ ﴿إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ﴾ تكرار نجّينا للتّأكيد ولعطف اهله على المفعول، ولتعيين مانجّى منه فانّه نجّى ﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ الّذى لميبتل احدٌ من الانبياء به وهو غرق تمام الدّنيا واهلها او شدّة اذى قومه.

﴿وَنَصَرْنَـٰهُ﴾ اى نجّيناه بالنّصرة ﴿مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾ الآفاقيّة من الآيات العظام والصّغار والانفسيّة من الواردات الالهيّة والزّجرات العقلانيّة والملكيّة والمنامات المنذرة والمبشّرة ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ وَدَاوُۥدَ﴾ عطف على نوحاً او هو بتقدير فعلٍ محذوفٍ مثل نوحاً.

﴿وَسُلَيْمَـٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ﴾ فى الزّرع او الكرم ﴿إِذْ نَفَشَتْ﴾ بدل من اذيحكمان او ظرف ليحكمان ﴿فِيهِ

﴿غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَـٰهِدِينَ﴾ جملة حاليّة بتقدير قد او معطوفة على يحكمان او نفشت والاتيان بالمضارع بعد اذ وفى القضايا الماضية لجعل اذ منسلخة عن المضيّ او لتصوير الماضى بصورة الحال المشهودة.

و المقصود من قوله وكنّا لحكمهم شاهدين اى عالمين او حاضرين انّ حكمهم لم‌يكن فى غيبةٍ منّا حتّى لايتميّز الحقّ من الباطل عندنا، اوكانا عالمين حين الحكم بانّهماكانا فى مشهدنا فلم يتفوّها بآرائهما بل يوحيٍ منّا فلا يقول احد انّهما حكما بالاجتهاد وخالفا احدهما الآخركما قيل ذلك.

و الاتيان بضمير الجمع فى قوله لحكمهم للاشعار بانّ الحاكمين كانوا متعدّدين لانّ داود عليه السلام جمع جميع اولاده للامتحان، ويجوز ارجاع الضّمير الى المتحاكمين والى مجموع الحاكمين والمتحاكمين.

في حكم سليمان باذن الله

﴿فَفَهَّمْنَـٰهَا سُلَيْمَـٰنَ﴾ يعنى اوحينا الى سليمان الحكومة او الغنم من حيث حكم الاضرار بحسب اقتضاء فكان حكمه ناسخاً لماكان سابقاً فلم‌يكن تفهيمنا سليمان تجهيلاً لداود عليه السلام.

ولذلك قال ﴿وَكُلاًّ ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾.

عن الصّادق عليه السلام انّه كان اوحى الله عزّ وجلّ الى النّبيّين: قبل داود الى ان بعث الله داود عليه السلام ايّ غنمٍ نفشت فى الحرث فلصاحب

الحرث رقاب الغنم و لايكون النّفش الاّ باللّيل فانّ على صاحب الزّرع ان يحفظ زرعه بالنّهار وعلى صاحب الغنم حفظ الغنم باللّيل فحكم داود بما حكم به الانبياء من قبله فأوحى الله عزّ وجلّ الى سليمان عليه السلام اىّ غنمٍ نفشت فى زرعٍ فليس لصاحب الزّرع الاّ ماخرج فى بطونها وكذلك جرت السّنّة بعد سليمان وهو قول الله تعالى كلاًّ آتينا حكماً وعلماً فحكم كلّ واحدٍ منهما بحكم الله عزّ وجلّ.

وفى خبرٍ آخر عنه عليه السلام: اوحى الله الى داود اتّخذ وصيّاً من اهلك فانّه قدسبق فى علمى ان لاابعث نبيّاً الاّ وله وصىّ من اهله وكان لداود اولاد عدّة؛ و فيهم غلام كانت امّه عند داود وكان لها محبّاً فدخل داود عليها حين اتاه الوحى.

فقال لها: انّ الله اوحى الىّ يأمرنى ان اتّخذ وصيّاً من اهلى، فقالت له امرأته فليكن ابنى، قال: ذلك اريد و كان السّابق فى علم الله المحتوم عنده انّه سليمان فأوحى الله تبارك وتعالى الى داود ان لاتعجل دون ان يأتيك امرى فلم يلبث داود ان ورد عليه رجلان يختصمان فى الغنم والكرم.

واوحى الله عزّ وجلّ الى داود ان اجمع ولدك فمن قضى بهذه القضيّة فأصاب فهو وصيّك من بعدك. فجمع داود ولده فلمّا ان قصّ الخصمان قال سليمان يا صاحب الكرم متى دخلت غنم هذا الرّجل كرمك؟

قال: دخلته ليلاً: قدقضيت عليك يا صاحب الغنم باولاد غنمك و اصوافها فى عامك هذا، ثمّ قال له داود فكيف لم تقض برقاب الغنم و قدقوّم ذلك علماء بنى‌اسرائيل فكان ثمن الكرم قيمة الغنم؟

فقال سليمان: انّ الكرم لم‌يجتثّ من اصله وانّما اكل حمله و هو عائد فى قابلٍ فأوحى الله عزّ وجلّ الى داود انّ القضاء فى هذه القضيّة ماقضى سليمان به، يا داود اردت امراً واردنا امراً غيره فدخل داود على امرأته فقال: اردنا امراً واراد الله تعالى امراً غيره ولم‌يكن الاّ ماارادالله فقد رضينا بامر الله عزّ وجلّ وسلّمنا.

و كذلك الاوصياء ليس لهم ان يتعدّوا بهذا الامر فيجاوزا صاحبه الى غيره، وورد غير ذلك باختلافٍ فى اللّفظ وفى المعنى.

في تسخير الجبال و الطّير لداود عليه السلام

﴿وَ سَخَّرْنَا﴾ التّسخير قدمضى فى سورة البقرة انّه جعل ارادة المسخّر تابعة لارادة المسخّر ﴿مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ﴾ ظرف لغو متعلّق بسخّرنا او مستقرّ حال من الجبال، وامّا تعلّقه بيسبّحن فانّه بعيد للزوم تخلّل الاجنبيّ بين المعمول المقدّم والعامل.

و تعلّقه بسخّرنا يدلّ على انّ داود مثل الجبال مسخّر له تعالى، و جعله حالاً من الجبال يشعر بكون الجبال مسخّرة لداود عليه السلام ﴿يُسَبِّحْنَ﴾ حال او مستأنفة.

قيل: يجوز ان‌يكون من التّسبيح ومن السّباحة ﴿وَ الطَّيْرَ﴾

عطف على الجبال او مفعولٌ معه، وقرئ بالرّفع على انّه مبتدء محذوف الخبر، او عطف على المرفوع المتّصل على ضعفٍ ﴿وَكُنَّا﴾ من قبل ذلك ﴿فَـٰعِلِينَ﴾ امثال ذلك فلا يبعد ان نفعل بداود ذلك وامثاله ﴿وَعَلَّمْنَـٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ اى مايلبس، والمراد به الدّرع بقرينة قوله تعالى ﴿لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ وهو بدل من لكم نحو بدل الاشتمال.

و قرئ ليحصنكم بالياء التّحتانيّة والضّمير حينئذٍ لداود او للبوسٍ او لله بطريق الالتفات، وقرئ بالتّاء الفوقانيّة والضّمير للصّنعة او للبوس باعتبار المعنى فانّ معناه الدّرع وقرئ بالنّون.

﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَـٰكِرُونَ﴾ يعنى اذا كان الامر على هذا المنوال فاشكروا لله تلك النّعمة العظيمة ﴿وَ﴾ سخّرنا ﴿وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ شديدة الهبوب بحيث كان غدّوها شهراً ورواحها شهراً مع انّها كانت رخاءً وتحريكها كان فى لينٍ ﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ﴾ بامر سليمان ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾ اى الشّام، قيل: كان سليمان يسير من الشّام بكرة واليه رواحاً ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَـٰلِمِينَ﴾ فكان اعطاؤنا نعطى لمن وامساكنا مانمسك ممّن نمسك عن علم بالاعطاء والامساك والمصالح المترتّبة عليهما.

﴿وَمِنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾ اظهار نعمةٍ اخرى لسليمان وهى تسخير الشّياطين والجنّة له، ومن معطوف

على الرّيح او مبتدء خبره من الشّياطين كانوا يغوصون فى البحار لاخراج الجواهر النّفسيّة لسليمان عليه السلام ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذَٰلِكَ﴾ كبناء المدن والقصور العجيبة وعمل الجفون العظيمة كالجواب واختراع الصّانع الغريبة وصنع مايشاء من محاريب وتماثيل ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ﴾ حتّى لايخرجوا من امره ولايفسدوا عليه ملكه واهل مملكته.

في ايّوب عليه السلام وابتلائه بامر الله و صبره

﴿وَأَيُّوبَ﴾ عطف او بتقدير فعل مثل نوحاً ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ﴾ اى بانّى مسّنى الضّر وقرئ بكسر الهمزة بتقدير القول او تضمين النّداء معنى القول.

﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ اكتفى باظهار حاله المقتضية للرّحمة وتوصيف ربّه بغاية الرّحمة عن سؤال العافية وهو ابلغ فى مقام الطّلب وأقرب الى الحياء واكمل فى حفظ حرمة المسؤل منه.

قيل: كان ايّوب عليه السلام روميّاً من ولد عيص بن اسحق عليه السلام استنبأه الله و كثّر ماله وولده فابتلاه الله بهلاك اولاده بهدم بيتٍ عليهم وذهاب امواله وبالمرض فى بدنه ثمانى عشرة سنةً او ثلاث عشر او سبعاً و سبعة اشهر، وانّ امراته كانت رحمة بنت افرائيم بن يوسف، وفى خبرٍ كانت بنت يوسف بن يعقوب عليه السلام.

و قيل: كان ايّوب فى زمان يعقوب، وتزوّج ليّا بنت يعقوب فقالت له يوماً: لو دعوت الله فقال: كم كانت مدة الرّخاء؟

فقالت: ثمانين سنةً، فقال: استحيى من الله ان ادعوه و مابلغت مدّة بلائى مدّة رخائى؛ هكذا قيل: وسيجيء فى سورة ص تفصيل حاله.

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾ من الاوجاع والامراض ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ نسب الى الخبر انّه تعالى احيى له من ماتوا من أهله فى زمان البلاء ومن ماتوا قبل بآجالهم وكذلك ردّ الله عليه امواله ومواشيه بأعيانها وأعطاه مثلها معها، وقيل: انّه تعالى خيّر ايّوبعليه‌السلام فاختار احياء اهله فى الآخرة ومثلهم فى الدّنيا فأوتى على مااختار.

و قيل: ولد له ضعف ما كان، و قيل: احيى ولده و ولد له منهم نوافل، وقيل: كان له سبع بناتٍ وثلاثة بنين، وقيل: سبع بناتٍ وسبعة بنين.

﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ عليه لامن استحقاق له ولامن عندالمظاهر ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَـٰبِدِينَ﴾ يعنى تذكرة لهم بانّ الصّبر على العبادة فى الرّخاء والشّدة كما صبر ايّوبعليه‌السلام فى الحالين مورث للنّعم الدّنيويّة والاخرويّة و موجب للفرج والسّرور.

﴿وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾ عطف او بتقدير فعل مثل ماسبق ﴿كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ فانّ اسماعيلعليه‌السلام صبر فى بلدٍ لازرع به و لاانيس من اوّل الصّبا، وادريسعليه‌السلام صبر على دعاء

القوم مع شدّتهم فى الانكار لانّه كان اوّل من بعث اليهم.

وامّا ذوالكفل فقد اختلف فيه فقد نسب الى الرّضا عليه السلام انّه يوشع بن نون.

و قيل: انّه الياس عليه السلام، وقيل: انّه زكريّا عليه السلام، وقيل: كان رجلاً صالحاً و لم‌يكن نبيّاً تكفّل لنبىّ وقته بصوم النّهار وقيام اللّيل وان لايغضب و يعمل بالحقّ فوفى بذلك.

و قيل: كان نبيّاً ولم‌يقصّ الله خبره، وقيل: هو اليسع كان مع الياس وليس اليسع الّذى ذكره الله فى القرآن تكفّل لملكٍ جبّارٍ ان هو تاب دخل الجنّة ودفع اليه كتاباً بذلك وكان اسمه كنعان فسمّى ذاالكفل.

و نسب الى الخبر انّه كان من الانبياء المرسلين وكان بعد سليمان عليه السلام بن داود عليه السلام، والكفل بمعنى الضّعف لضعف ثوابه بالنّسبة الى اهل زمانه لشرفه وبمعنى النّصيب وبمعنى الكفالة والكلّ مناسب.

﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ وَذَا النُّونِ﴾ هو مثل ماسبق فى العطف والتّقدير، والنّون بمعنى الحوت سمّى به لابتلائه ببطن الحوت وهو يونس عليه السلام بن متّى.

﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا﴾ لقومه او لربّه فانّ غاضبنى فلان بمعنى اغضبنى واغضبته، وكان حاله مع قومه كذلك.

فانّه بعث اليهم حين كونه ابن ثلاثين و كان فيه حدّة فدعاهم ثلاثاً وثلاثين ولميقبل منه سوى تنوخا العابد و روبيل الحكيم فغضب لذلك و دعا الله على قومه حتّى وعده الله نزول العذاب على قومه بعد ماامره بالتّأنّي و الصّبر فلم يقبل واصرّ على الدّعاء.

فأخبر قومه بنزول العذاب بعد المشورة مع روبيل و سؤال روبيل عنه ان يراجع ربّه و يسأل دفع العذاب عنهم و ابائه عن المراجعة فلمّا صار موعد العذاب و قداخرجوا يونس عليه السلام و تنوخا من بلدتهم و كانت البلدة نينوا من اعمال موصل ورأى عدن نزول العذاب عليهم غضب لذلك و غاضب قومه، او غاضب ربّه خصوصاً على ماورد انّه وكله الله تعالى الى نفسه طرفة عين.

﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ اى لن نضيّق او لن نقضى عليه ماقضيناه عليه، او لن نكون قادرين على اخذه كما ورد انّه وكّل الى نفسه فظنّ ذلك.

و معنى ماورد انّه عليه السلام وكله الله الى نفسه فخطر على باله ذلك وسمّى الخطرة ظنّاً ولاينافى الخطرة مقام النّبوّة فانّ توبة الانبياء من حيث ولايتهم، وتوبة الاولياء من خطرات القلوب، فنادى اى فضيّقنا عليه فى الطّريق فدخل سفينة فساهم اهل السّفينة فخرج السّهم باسمه فألقوه فى البحر فابتلعه الحوت.

﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ ظلمة اللّيل، و ظلمة البحر، و

ظلمة بطن الحوت.

و قيل: انّ الحوت ابتلعه حوت آخر ﴿أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾ ان مخفّفة من المثقّلة او تفسيريّة ﴿سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ تبرّى اوّلاً من انانيّته بعد مارأى انّ انانيّته و رأيه صارت سبباً لهلاكته واثبت الالهة والرّأى له تعالى ثمّ نزّهه عمّا يورث نقصاً فى رأيه ووجوده.

ثمّ اعترف بانّ دعاءه على قومه وانانيّته فى مقابلة انانيّة الله كانت ظلماً منه على قومه وعلى نفسه، ولمّا كان ذلك منه كنايةً عن سؤال النّجاة.

قال تعالى ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ يعنى من بطن الحوت او غمّ الخطيئة والمغاضبة ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ الانجاء من بطن الحوت بسبب التّبرّى من الانانيّة والاستقلال بالرّأى واثبات لانانيّة لله وتنزيهه من معرفة البشر و الاعتراف بالظّلم فى اثبات الانانيّة والمعرفة للنّفس.

﴿نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قرئ ننجى بنونين من باب الافعال، وقرئ نجّى بنون واحدة وتشديد الجيم وسكون الياء على انّه مضارع من باب الافعال وادغم النّون الثّانية فى الجيم، او على انّه من باب التّفعيل وحذف النّون الّتى كانت فاءً او على انّه ماض مجهول منسوب الى المصدر، وسكونه بنيّة الوقف كما قيل.

روى عن النّبى ﷺ: مامن مكروب يدعو بهذا الدّعاء الاّ استجيب له لانّ المؤمن اذا خرج من انانيّته فى جنب انانيّة الله واعتراف بانّ رؤية الانانيّة فى جنب انانيّة الله ظلم ودعا الله فى هذه الحال استجيب له لامحالة لانّه يكون حينئذٍ مصداقاً لقوله تعالى: اجيب دعوة الدّاع اذا دعان.

وفى خبرٍ عن الصّادق عليه السلام: عجبت لمن اغتمّ كيف لايفزع الى قوله تعالى: لااله الاّ انت سبحانك انّى كنت من الظّالمين فانّى سمعت الله يقول بعقبها: فاستجبنا له ونجّيناه من الغمّ وكذلك ننجى المؤمنين.

﴿وَزَكَرِيَّآ﴾ مثل ماسبق فى العطف او التّقدير ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ﴾ قائلاً ربّ ﴿لَا تَذَرْنِى فَرْدًا﴾ بلاولدٍ ولاعقبٍ يرثنى ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ استدراك لمايتوهّم من انّه فى دعائه الولد بقوله: لاتذرنى فرداً صرف النّظر عن الله ومعيّته معه ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥ﴾ فانّها كانت قطع حيضها لكبرها وكانت عقيمةً قبل الهرم فأصلح الله رحمها وحاضت وحملت او كانت هرمة فجعلها الله شابّةً حسنة شهيّةً، او كانت سيّئة الخلق فصيّرها الله حسنة الخلق.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟﴾ استيناف فى مقام التّعليل والضّمير لزكريّا عليه السلام وزوجه ويحيى عليه السلام او للانبياء عليهم السلام المذكورين من اوّل القصص فانّ

كلّهم كانوا ﴿يُسَـٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ الّتى كانت بينهم و بين الله و بينهم وبين الخلق فى العالم الصّغير والكبير.

﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ ذوى رغبٍ او دعـاء رغبٍ او راغبين او للرّغبة والرّهبة، والرّغب محرّكةً من رغب اليه اجتهد فى دعائه او تضرّع عليه وهذا نظير قوله تعالى: ادعوا ربّكم تـضرّعاً وخيفةً، وهذه العبارة يجوز ان يراد بـها انّ بـعضهم يـدعوه رغـباً، وبعضهم يدعوه رهباً، و ان يراد انّهم يدعونه فى وقتٍ رغباً وفى وقتٍ رهباً، وانّهم يدعونه جامعين للوصفين وهذا هو المراد هـهنا فانّ الكامل يكون دائماً بين الخوف والرّجاء والرّهبة والرّغبة.

اعلم، انّ الانسان بل مطلق الحيوان من اوّل استقرار نـطفته ومادّة وجوده فى مقرّها واقع بين قوّة قبول الفناء والبقاء والاستنزال والاستكمال والنّقصان والزّيادة.

و كلّ موجود بفطرة وجوده راغب فى بـقائه واسـتكماله و ازدياده هارب من فنائه واسـتنزاله ونـقصانه، واذا كـان المـوجود شاعراً بالشّعور البسيط كاكثر انواع الحيوان او بالشّعور التّـركيبىّ كافراد الانسان كان بحسب شعوره ايضاً حين عدم الغفلة هارباً عن منافياته، راغباً فى ملائماته .

و الكامل هو الّذى لميكن غافلاً عن مـنافياته ومـلائماته، ومن لميكن غافلاً عن ذلك المذكور كان دائماً فى الرّهب والرّغب

والهرب والطّلب والخوف والرّجاء والخيفة والضّرع والفرار والالتجاء والتّوبة والانابة، والتّبرّى التّولّى.

و قديصير الانسان غافلاً بحسب الشّعور التّركيبىّ عن وجوده و كمال وجوده ونقصانه وقديكون مغترّاً و قديكون آئساً والثّلاثة مذمومة فانّ الممدوح هو السّير والسّلوك بين الخوف والرّجاء والكمال هو استواء الخوف والرّجاء بحيث لايزيد احدهما على الآخركما فى الخبر.

﴿وَكَانُواْ لَنَا﴾ لالغيرنا ﴿خَـٰشِعِينَ﴾ قدمضى معنى الخشوع، والفرق بينه وبين الخضوع والتّواضع فى سورة البقرة عند قوله تعالى: وانّها لكبيرة الاّ على الخاشعين.

﴿وَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ عطف او بتقدير فعل كسوابقه وهى مريم عليها السلام كانت حفظت نفسها من ان ينظر الى عوراتها ومن ان يتصرّف بالحلال او الحرام.

﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا﴾ اى فى الّتى احصنت فرجها بان نفخ رسولنا الّذى هو بمنزلة انفسنا فى جيب مدرعتها كما فى الخبر بعضاً ﴿مِن رُّوحِنَا﴾ التى هى ربّ نوع الانسان واضافاتها الى نفسه تعالى لتشريفها او منفوخاً ناشئاً من روحنا.

﴿وَجَعَلْنَـٰهَا وَ ٱبْنَهَآ ءَايَـةً﴾ دالّة على علمنا وقدرتنا وحكمتنا بان حملت من غير فحلٍ ومن دون زوال بكارتها وتكامل

الجنين فی رحمها فی ساعةٍ واحدةٍ مثل کمال الجـنين فـی تسـعة اشهر.

و تکلّم ابنها و شهادته علی طهارة امّه وعدم تـولّده مـن السّفاح فی اوّل تولّده و شهادته علی نبوّته فی ذلك الزّمان.

﴿لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ لعدم حاجتها الی عقل او تذکّر او تأمّل ونظر او تسليم وانقياد او تطهير او لبٍّ او اعتبار.

﴿إِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ﴾ جواب لسؤالٍ مقدّرٍ کأنه قيل: ماقلت لهؤلآء الانبياء او العباد بعد بعث الانبياء؟

فقال قلت لهم: انّ هذه امّتکم، او حال عن الافعال السّـابقة علی سبيل التّنازع وکلا الوجهين بتقدير القول ای قلنا للانبياء بعد قبول امرهم واجتماع جمعٍ علی شريعتهم: هذه امّـتکم ومـؤتمّون بکم.

او قلنا للخلق او لمن اتّبعهم: هؤلآء الانبياء مأمـوموکم، او قلنا للانبياء او للاتباع: هذه الطّريقة الّتی هی التّـوحيد والتّسـليم طريقتکم، او هو جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ او حال بتقدير القول، وخطاب للحاضرين فی زمان محمّد ﷺ والمعنی انّ هذه الجماعة من الانبياء المذکورين ائمّتکم واسوتکم، او هذه الطّريقة طريقتکم.

﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ جماعة واحدة من حـيث طـريقة او طـريقة واحدة غير متفرّقة ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ وَتَـقَطَّعُوٓا۟﴾ عـطف

علی القول المقدّر ای قلنا انّ هذه امّتكم امّة واحدة وتقطّعوا ﴿أَمْرَهُم﴾ ای امر دينهم او امر امامتهم بان جعل كلّ لنفسه ديناً وطريقاً او اماماً و مقتدیً، او امر اتباعهم بان جعل كلّ منهم اتباعهم لأهويةٍ عديدةٍ.

﴿بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ﴾ جواب لسؤالٍ مقدّرٍ و وعدٌ و وعيد كأنّه قيل: مايصير حالهم؟

قال: كلّ الينا راجعون او حال مفيدة لهذا المعنی يعنی رجوع الكلّ الينا فنجازيهم علی حسب امرهم وطريقهم، وصيغة تقطّعوا للمبالغة فی الفعل، وبينهم ظرف لغو متعلّق بتقطّعوا، او مستقرّ حال من امرهم والمعنی فرّقوا امر دينهم او امر امامتهم او اتّباعهم بينهم.

﴿فَمَن يَعْمَلْ﴾ الفاء للتّرتيب فی الاخبار ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ بعضاً من الصّالحات ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ بالايمان العامّ البيعة العامّة النّبويّة او بالايمان الخاصّ والبيعة الخاصّة الولويّة.

﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾ كفران السّعی كناية عن ضياعه علّق عدم ضياع السّعی علی عمل شیءٍ من الصّالحات به يظهر اثر الايمان علی البدن اوالنّفس مقيّداً بقبول الدّعوة الظّاهرة او الدّعوة الباطنة واذا اعتبر مفهوم القيدين صار المعنی: من لميعمل شيئاً من الصّالحات سواء لميعمل شيئاً من السّيّئات او عمل بعضها او كلّها،

وسواء كان مؤمناً او كافراً، ومن عمل شيئاً من الصّالحات او جميعها ولميكن مؤمناً ضاع سعيه وهو هكذا كما يدلّ عليه الاخبار.

فليس الامر كما يقوله القلندريّة من انّك اذا عرفت فاعمل ماشئت، فلاتصغوا اخوتى الى اقاويل البطّالين من المتصوّفة والقلندريّة و اعلموا بلوازم ايمانكم ماقدرتم ثمّ تفوزوا ان شاء الله بنتائج ايمانكم واعمالكم.

﴿وَ إِنَّا لَهُ﴾ اى لذلك البعض من الصّالحات او لسعيه ﴿كَـٰتِبُونَ﴾ او لاجل من يعمل من الصّالحات كاتبون فى صحائف عمله مايعمله ﴿وَ حَرَٰمٌ﴾ قرئ حرامٌ بفتح الفاء والمدّ وحرم بكسر الحاء وسكون الرّاء، وحرم بصيغة الفعل المبنىّ للمفعول.

﴿عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ قرئ انّهم بفتح الهمزة وكسرها وحرام خبر مقدّم او مبتدء مكتفٍ بمرفوعه عن الخبر وانّهم مبتدء موخّر او فاعل مغنٍ عن الخبر، او حرام خبر مبتدٍ محذوفٍ.

و المراد بالقرية اهلها بطريق المجاز فى الحذف او المجاز فى اللّفظ والمعنى ممتنع على اهل قرية اهلكناهم عن الحيوة الانسانيّة عدم رجوعهم الى جزائنا و عقوبتنا او رجوعهم الى ثوابنا على ان يكون لازائدةً او الى الانسانيّة او الى الدّنيا او ذلك المذكور من عدم ضياع السّعى حرام على قرية اهلكناها لانّهم

لايرجعون الى الانسانيّة او الى دار الثّواب.

او اهلكناها لانّهم لايرجعون عن غيّهم على ان يكون تعليلا لاهلكناها وكون انّهم بتقديراللاّم موافق معنى لقراءة كسر همزة انّ وكان الاوفق بمقابلة القرين الاوّل بحسب الظّاهر ان يقول تعالى: ومن عمل من السّيّئات اومن لم‌يعمل من الصّالحات سواء كان مؤمناً ام لا او من لم‌يؤمن سواء عمل من الصّالحات او لم‌يعمل فلا شكر لسعيه لكنّه عدل عنه وادّاه بحيث افاد هذا المعنى مع شيءٍ زائد و هو هلاكتهم عن الانسانيّة واهلاك الله لهم وامتناع رجوعهم الى الانسانية او الى دار الثّواب.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ غاية لعمل الصّالحات او لعدم كفران السّعى او لحرمة الرّجوع او لحرمة عدم الرّجوع او لعدم الرّجوع عن الغيّ والمراد بانفتاح يأجوج ومأجوج انفتاح سدّهم.

و قدسبق فى سورة الكهف بيان يأجوج ومأجوج وتأويلها و وجه منع صرفهما.

﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ﴾ مرتفع من الارض ﴿يَنسِلُونَ﴾ اى يسرعون والضّمير ليأجوج ومأجوج او للنّاس.

وقرئ من كلّ جدثٍ ينسلون وهو يؤيّد ارجاع الضّمير الى النّاس فانّ الجدث بمعنى القبر.

اعلم، انّ امثال هذه من الرّموز الّتى رمزوها الاقدمون من الانبياء و الحكماء و المنظور من حكاياتها ليس الاّ التّنبيه على المرموز اليه و ليس النّظر من الله تعالى و لامن خلفائه الى صورة السّمر.

و المراد بيأجوج و مأجوج فى العالم الصّغير جنود ابليس المتولّدة من الجنّيّة الّتى أتى بها لابن آدم و بقبول الولاية يجعل صاحب الولاية سدّاً بينهم و بين بنى آدم الّذين تولّدوا من الحوراء الّتى اتى بها لابنه الآخر.

و اذا قرب السّاعة انفتح السّدّو خرج يأجوج ومأجوج و استغرقوا تمام صفحة النّفس واكلوا ماوجدوا فيها وهرب بنوآدم من صفحة النّفس فراراً منهم فلايبقى تلّ ووهد الاّ كان يأجوج ومأجوج مسرعين فيه وان النّاس مسرعين منه.

﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾ يعنى ساعة الاحتضار وظهور القائم عجّل الله فرجه والقيامة الصّغرى ﴿فَإِذَا هِيَ﴾الاتيان بالفاء واذا المفاجاء لتأكيد لصوق الجزاء بالشّرط، والضّمير للقصّة او مبهم يفسّره الابصار ﴿شَٰخِصَةٌ﴾ مبتدء مكتفٍ بالمرفوع عن الخبر او خبر مقدّم ﴿أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾لاالّذين آمنوا فانّهم عن الاهوال ذلك اليوم آمنون فانّ الكفّار لهول ذلك اليوم وعدم انسهم به يبقى ابصارهم مفتوحةً لاتطرف.

و امّا المؤمن فانّه لانسه بالآخرة وبما يرى فى ذلك اليوم كأنّه لايرى امراً هائلاً غريباً ولايكون له امر هائل اذا كان كاملاً، وغير الكامل قديرى اهوال ذلك اليوم لكن لامن حيث ايمانه بل من حيث كفره.

﴿يَـٰوَيْلَنَا﴾ بتقدير القول اى قائلين يا ويلنا ﴿قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا﴾ الوعد ولم‌نكن نتفكّر فيه ونقبله ونستعدّ له.

﴿بَلْ كُنَّا ظَـٰلِمِينَ﴾ بل لم‌نكتف بالغفلة من هذا وكنّا عاملين لضدّ هذا وقدخلقنا الله تعالى للعمل لهذا والانس به.

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ مستأنف جواب لسؤالٍ مقدّرٍ بتقدير القول كأنّه قيل: مايقال لهم؟

فقال الله تعالى نقول: انّكم وماتعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ اى حالكون ماتعبدون بعضاً من غير الله او ماتعبدون من دون اذن الله، وفائدة التّقييد اخراج المطاعين باذن الله كالانبياء واوصيائهم ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ والحصب الحطب ومطلق مايرمى به فى النّار، او لايكون الحطب حصباً حتّى يسجر به.

﴿أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ لام لها زائدة للتّقوية والجملة تأكيد للجملة الاولى والمراد بالخطاب المخاطبون و مايعبدون بطريق التّغليب ﴿لَوْ كَانَ هَـٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا﴾ مستأنف جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ ناشٍ من سابقه كأنّه قال: فما حال هؤلاء الآلهة؟

فقال لو كانوا الهةً ماوردوها، او مستأنف منقطع عن سابقه لفظاً ومعنىً وردّ من الله على الحاضرين المخاطبين بعد التّسجيل على الآلهة بالورود فى النّار.

او جواب لسؤالٍ مقدّرٍ بتقدير القول كأنّه قيل: مايقال حين الورود؟

فقال تعالى: يقال لهم: لو كان هؤلآء آلهةً ماوردوها ﴿وَكُلٌّ﴾ من العابدين والمعبودين ﴿فِيهَا خَـٰلِدُونَ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ تنفّس شديد لشدّة التّعب ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ لشدّة الهول وعدم استشعارهم بالاصوات او لصممهم او لايسمعونماينفعهم ويريحهم.

و الاشكال بانّ المعبودين سوى الله لايكون كلّهم مستحقّين للنّار فانّ الشّمس والقمر وسائر النّجوم والملائكة وعيسى عليه السلام قدعبدوا و ليسوا مستحقّين للنّار ولاراضين بعبادة النّاس لهم مدفوع بانّ الخطاب لعابدى الاصنام او بأنّهم مستثنون من هذا الحكم بقوله: انّ الّذين سبقت فانّه بمنزلة الاّ الّذين سبقت كمااشير الى هذا الوجه فى الخبر.

او بانّ المعبود حقيقة فى تلك العبادات هو الشّيطان المعنوىّ و الجنّىّ الّذى كان قرين العابد فى عبادته كما قال تعالى خطاباً للملائكة اهؤلاء ايّاكم كانوا يعبدون، قالوا سبحانك انت وليّنا من

دونهم بل كانوا يعبدون الجنّ اكثرهم بهم مؤمنون.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ جواب لسؤالٍ مقدّرٍ ولذلك اكّده استحساناً ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ تكرار المبتداء باسم الاشارة البعيدة تفخمٌ لشأنهم ﴿عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ اى عن عذابها ومسيس ألمها حتّى لاينافى قوله وان منكم الاّ واردها.

وماقيل: انّ هذه ناسخة لتلك بعيدٌ جدّاً ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ الحسيس صوت يحسّ به والجملة حالٌ او مستأنفة جواب لسؤالٍ مقدّرٍ او خبرٌ بعد خبر.

﴿وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ فزع القيامة الكبرى فانّه افزع من فزع القيامة الصّغرى، وقيل: هو النّفخة الاخيرة.

و قيل: هو حين يؤمر بالعبد الى النّار وهما راجعان الى الاوّل، و قيل: هو عذاب النّار اذا اطبقت على أهلها وهو عقيب القيامة الكبرى ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ قائلين ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ﴾ اى دولتكم او يوم ثوابكم ﴿ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

اعلم انّ الحسن المطلق هو الولاية المطلقة وكلّ ما كان متّصلاً بالولاية او منتهياً اليها من فعلٍ او قولٍ و خلقٍ او حالٍ او علمٍ او اعتقادٍ او وجدانٍ او شهودٍ فهو حسن بحسنها.

فمعنى قوله ان الّذين سبقت لهم منّا الحسنى انّ الّذين فاقت

و غلبت على فعليّاتهم فعليّة الولاية الّتى هى الحسنى وتقدّمت على كلّ فعليّاتهم.

او انّ الّذين سبقت على وجودهم الطّبيعىّ فى العوالم العالية لانتفاعهم منّا الحسنى الّتى هى الولاية بان قدّرنا لهم ذلك ومنّا لغو متعلّق بسبقت او مستقرّ حال من الحسنى و على المعنى الاوّل كان من غلب على فعليّاته فعليّة الولاية محكوماً عليه بالبعد من النّار دون من لميغلب فعليّة الولاية فى وجوده وهذا هو الموافق لاعتقاد الشّيعة و مذهبهم.

فانّ من لميغلب الولاية على فعليّاته يردّ فى البرازخ على نار الدّنيا وعلى اىّ تقدير كان المراد من تولّى عليّاًعليه السلام وعليه اخبار كثيرة.

فعن النّبىّ صلى الله عليه وآله انّه قال لعلىٍّعليه السلام: يا على انت وشيعتك على الحوض تسقون من احببتم وتمنعون من كرهتم وانتم الآمنون يوم الفزع الاكبر فى ظلّ العرش، يفزع النّاس ولاتفزعون ويحزن النّاس ولاتحزنون وفيكم نزلت هذه الآية: انّ الّذين سبقت منّا الحسنى (الآية) وفيكم نزلت: لايحزنهم الفزع الاكبر (الآية) و بهذا المضمون عدّة اخبارٍ وفى بعض الاخبار فالحسنة ولاية علىٍّعليه السلام.

و فى خبرٍ عن الصّادقعليه السلام يبعث شيعتنا يوم القيامة على مافيهم من ذنوبٍ وعيوبٍ مبيضّةً مسفرة وجوههم مستورة

قول النّبى صلى الله عليه وآله فى فضائل الشّيعة

عوراتهم آمنة روعاتهم، قدسهلت لهم الموارد وذهبت عنهم الشّدائد، الحديث.

وفى حديث طويلٍ عن النّبىّ ﷺ مخاطباً لعلىٍّ ؑ: وفيكم نزلت هذه الآية: انّ الّذين سبقت منّا الحسنى.

﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ﴾ ظرف للايحزنهم، او لتتلقّيهم او لتوعدون او حال عن اليوم، اوعن العائد المحذوف من توعدون او معمول لاذكر مقدّراً ﴿كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ﴾ اى الصّحيفة الّتى يكتب فيها الحساب او الملك الّذى يرفع اليه كتب الاعمال او هو اسم لكتابٍ للنّبىّ ﷺ.

و قرئ السّجل كالدّلو والسجل كالعتلّ وهما لغتان فيه ﴿لِلْكُتُبِ﴾ قرئ بالافراد والجمع واللاّم للتّعليل اى لاجل الكتابة، او للتّقوية اى للمكتوب او للمكتوب فيه، وطىّ السّماء عبارة عن افنائها او لفّها كلفّ الطّومار.

﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ لفظة ما كافّة او مصدريّة ولافرق بينهما فى المعنى، والخلق بمعناه المصدرىّ.

او بمعنى المخلوق، وليس المقصود فرداً لاعلى التّعيين من الخلق او المخلوق، بل المراد جنس الخلق او جميع افراده واوّل خلقٍ مفعولٌ لبدأنا او لنعيد المقدّر الّذى يفسّره المذكور، او ظرف لبدأنا او لنعيده المؤخّر .

و المعنى كما بدأنا الخلق فى اوّل مراتب الخلق او نعيد الخلق فى اوّل مراتب الخلق والمراد اوّل مراتب الخلقة او اوّل افراد الخلق، واوّل مراتب الخلقة فى جملة العوالم مرتبة المشيّة، واوّل افراد الخلق هو الّذى يكون فى المشيّة المسمّى بالفرد اللاّهوتىّ، واوّل الخلق فى عالم الخلق مقابل الامر هو المادّة المستعدّة المتميّزة من بين الموادّ لشيءٍ مخصوصٍ كالنّطفة المستقرّة فى الرّحم وضمير نعيده راجع الى الخلق ان كان بمعنى المخلوق.

او الى المخلوق المستفاد من الخلق، او لفظة ماموصولة والعائد محذوف، واوّل خلقٍ حال عن العائد المحذوف، او مفعول به او فيه لبدأنا او لنعيد المقدّر والمعنى كالّذى بدأناه حالكونه اوّل خلقٍ، اوكالّذى بدأناه فى اوّل مراتب الخلق، او كالكيفيّة الّتى بدأنا بها اوّل الخلق نعيده، والمنظور تشبيه الاعادة بالابداء فى جواز تعلّق الارادة والامكان، او تبشبيه المعاد بالمبتدء فى كونه عارياً ممّا خوّله الله ايّاه.

﴿وَعْدًا﴾ مفعول مطلق لمحذوفٍ ﴿عَلَيْنَآ﴾ انجازه او ثابتاً حتماً علينا ﴿إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ﴾ جوابٌ لسوالٍ مقدّرٍ مؤكّد استحساناً ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّـٰلِحُونَ﴾ الزّبور كتاب داود عليه السلام والكتاب السّماوىّ ومطلق الكتاب والالواح العالية من اللّوح المحفوظ ولوح المحو

والاثبات.

و الذّکر مصدر بمعنى التّذکّر وکلّ مایتذکّر به من الاقلام العالية و الالواح الرّوحانيّة والجسمانيّة والکتب السّماويّة، والانسان الکامل والولاية والنّبوة والتّوراة، ومن بعد الذّکر متعلّق بکتبنا او ظرف مستقرّ حال من الزّبور.

او خبر مقدّم وانّ الارض (الى آخر الآية) مبتدء مؤخّر والجملة مفعول کتبنا لکونه بمعنى القول، وهذا بعيد جداً ووجوه اعتبار المعنى فى کلّ من وجوه اعتبار اللّفظ بحسبه.

و العباد الصّالحون شيعة علىٍّ عليه السلام فانّهم يملکون ارض العالم الصّغير حين ظهور القائم عليه السلام بالموت الاضطرارىّ او الاختيارىّ، ويملکون ارض الفردوس کذلك، ويملکون ارضٍ العالم الکبير بالتّصرّف فيها باىّ نحوٍ شاؤا بعد ظهور القائم عليه السلام ولذلك فسّر الآية باصحاب القائم عجّل الله فرجه.

﴿إِنَّ فِي هَـٰذَا﴾ الوعد بايراث الارض او فى هذا القرآن او هذا الزّبور او فى هذا المذکور من الوعيد والوعد ﴿لَبَلَـٰغًا﴾ اى کفاية او بلوغاً الى المقصود.

﴿لِّقَوْمٍ عَـٰبِدِينَ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾

عطف او حالٌ وفيه معنى الاستدراك فانّه توهّم من قوله لقومٍ عابدين اختصاص الکتاب والنّصح والمواعظ بالعابدين فاستدرك

هذا التّوهّم وقال: ارسلناك رحمةً للعالمين فمن تـعرّض لهـا اخـذ نصيباً منها ومن اعرض عنها حرم منها، والعابد متعرّض لها وذكر في الاخبار في وجه كونه رحمةً للعالمين انّه صلى الله عليه وآله بـعث بـالتّعريض لابالتّصريح.

و انّ قومه امهلوا و لم‌يتوعّدهم العذاب و لم‌يصرّح لهم بأمرٍ كانوا يخالفونه فيعذّبوا كولاية عليٍّ عليه السلام وانّه رفع المسخ والخسف من هذه الامّة، والتّحقيق انّ وجود خلفاء الله في الارض رحمة من الله على اهل الارض وبركة ورفع لبلائهم لانّهم بفنائهم من انانيّاتهم وبقائهم بوجودٍ الهيٍّ اخرويٍّ صاروا عين الرّحمة الالهيّة، وكـونهم في الارض عبارة عن وجود تلك الرّحمة في الارض على جـملة موجودات الارض.

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ﴾ منقطع عن سابقة لفظاً لكنّه مرتبط معنىً كأنّه قال: اذا كنت رحمة للعالمين فقل لهم انّما يوحى ﴿إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ وبلّغهم التّوحيد الّذي هو اصل جميع انواع الرّحمة و الحصر اضافيّ او ادّعائيّ كأنّه لايعدّ سائر اقسام الوحي من الوحي.

﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ مخلصون العبادة مـن الاشـراك لله تعالى، و قرئ في قراءة اهل البيت مسلّمون بـتشديد اللاّم بـمعنى مسلّمون الوصيّة لعليٍّ عليه السلام.

و على هذا يجوزان يقال فى تفسير الآية: انّما آلهكم بحسب مظاهره وخلفائه آلهٌ واحد من دون تعدّد وشراكة لغيره فهل انتم مسلّمون الولاية لهذا الا له الواحد الّذى هو علىّ عليه السلام.

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ عن التّوحيد او تولّوا عن وصيّتك وولاية خليفتك ﴿فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ﴾ اى اعلمتكم الحرب ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ اى حالكونكم على استواءٍ معنا فى الاعلام حتّى تتأهّبوا مثلنا للقتال او اعلمتكم التّوحيد او الولاية حالكونكم متساوين فى ذلك الاعلام.

والاختلاف انّما نشأ من قبلكم لامن عدم تسويتى بينكم او حملتكم باعلام الولاية على سواء الطّريق او على امر مستوى النّسبة الى جميع الامور وهو الولاية.

﴿وَإِنْ أَدْرِيَ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ اى الحرب الّتى توعدونها او القيامة او عذاب الآخرة او ايراث الارض ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ﴾ جواب لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: افلا يعلم الله ذلك؟

فقال: انّه يعلم ﴿ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ فى نفوسكم من القول، او جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ عن علّة عدم علمه صلّى الله عليه وآله فقال: لانّ الله لاغيره يعلم الجهر من القول والخفايا منه، وهذا من المخفيّات المغيبات.

و المراد بالجهر من القول هو الكلام المجهور والمكتوم ضدّه، او المراد بالمجهور مطلق القول الّذى يظهر على اللّسان،

والمكتوم ما كان من قبيل حديث النّفس، او المجهور مطلق مايظهر على النّفس سواء كان بطريق حديث النّفس او جارياً على اللّسان، والمكتوم مالم‌يظهر على النّفس بعد.

او المجهور مطلق مايظهر على الاعضاء من الافعال والاقوال، والمكتوم مالم‌يظهر على الاعضاء من الاحوال والاخلاق والعلوم، او المجهور مطلق ماظهر على النّفس من الافعال والاقوال والصّفات والاحوال والعلوم، والمكتوم مالم‌يظهر على النّفس بعد من المكمونات الّتى لم‌يطّلع الانسان عليها.

﴿وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ﴾ اى لعلّ امر الولاية او عليّاً عليه السلام او ماتوعدون، او جهالة وقت ماتوعدون، او تأخير العذاب امتحان لكم، او ضلال، او فضيحة او اذابة وتخليص.

﴿وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ اى تمتّع او مايتمتّع به يعنى هو جامع بين الوصفين او فتنة لبعضٍ ومتاعٌ لبعضٍ الى وقت يقتضيه مشيّته وهو مدّة كونكم فى حجب التّعيّنات وقيد الحيوة الدّنيا.

﴿قَـٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ يعنى اخرج من مشيّتك وكل امورك الى ربّك واسأله الاصلاح بالحقّ، وقرئ قال على الماضى وربّ بضمّ الباء احكم على وزن التّفضيل واحكم على الماضى.

﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَـٰنُ﴾ المتساوى الرّحمة بالنّسبة الى الحقير والخطير والبرّ والفاجر ﴿ٱلْمُسْتَعَانُ﴾ الّذى يستعين به الجامد

والنّامى، والشّاعر وغير الشّاعر، والمطيع والعاصى فى جميع الامور خصوصاً ﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ من تكذيبى وعدّ كتابى من الاساطير، او من الاشراك بالله، او من انكار البعث او من انكار الولاية والاتّفاق على ان لاتتركوا هذا الامر لعلىٍّ عليه السلام وقرئ يصفون بالغيبة.



فهرستهای پنجگانه

فهرست‌اعلام

فهرست ترجمه‌ی اخبارمتن

اخلاق نیکو و شکیبایی همراه با وقار و صله‌ی ارحام و خوبی به مادران و پدران و متعهّد نسبت به فقرا و همسایگان و یتیم‌ها هستند، آنان کسانی هستند که اطعام می‌کنند و سلام را در عالم نشر می‌دهند و نماز می‌خوانند در حالی که مردم غافلند...... ۲۰۰

و در خبر آمده‌است که از ابوابراهیمعليه‌السلام درباره‌ی میّت سؤال شد که چرا میّت را غسل جنابت می‌دهند؟ پس فرمود: خدای تعالی بالاتر و برتر و خالص‌تر از آنست که اشیا را با دست خودش بیافریند، خداوند تبارک و تعالی هرگاه بخواهد چیزی را بیافریند به دو فرشته آفریننده فرمان می‌دهد که بیافرینند........... ۲۰۲

پس آنان از خاکی که خداوند در کتابش فرموده: «مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَ فِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ» برمی‌گیرند پس آن خاک را با نطفه‌ای که در رحم قرار گرفته مخلوط می‌کنند، وقتی که نطفه با خاک مخلوط شد آن دو ملایکه می‌گویند: پروردگارا چه خلق کنیم؟ ابوابراهیمعليه‌السلام فرمود: پس خداوند به آن‌ها آن که را که می‌خواهد وحی می‌کند، از قبیل مذکّر و مؤنّث بودن، مؤمن و کافر بودن و سیاه و سفید و شقیّ و سعید بودن. پس وقتی که مرد رجل همان نطفه از او بیرون می‌آید، نه چیز دیگر، از همین جهت است که میّت را غسل جنابت می‌دهند........... ۲۰۲

ابوجعفرعليه‌السلام فرمود: خدای تعالی بر رسولش امر فرمود که به

فهرست اخبار متن

و قداشیر الیه فی الخبر: و لمّا کان الرّسول صلی الله علیه وآله متحزّناً علیهم و علی انحرافهم وکأنّه عزم علی الدّعاء علیهم قال تعالی تسلیةً

عن الکاظم علیه السلام واَمّا قوله: لعلّه یتذکّر او یخشی، فانّما قال ذلك لیکون أحرص لموسی علیه السلام علی الذّهاب وقدعلم الله عزّ وجلّ انّ فرعون لایتذکّر ولایخشی الاّ عند رؤیة البأس، والتّذکّر کنایة عن الرّجاء، والخشیة هی الخوف. ۵۱۳

وورد عن النّبیّ صلی الله علیه وآله انّ خیارکم اولوالنّهی قیل: یا رسول‌الله و من اولواالنّهی؟ قال: هم اولواالاخلاق الحسنة والاحلام الرّزینة، وصلة الارحام والبررة بالامّهات والآباء والمتعاهدون للفقراء والجیران والیتامی و یطعمون الطّعام و یفشون السّلام فی العالم ویصلّون و النّاس نیام غافلون. ۵۱۹

سئل ابوابراهیم علیه السلام عن المیّت لم یغسّل غسل الجنابة؟ فقال: انّ الله تبارك و تعالی أعلی و أخلص من ان یبعث الاشیاء بیده انّ لله تبارك و تعالی ملکین خلاّقین فاذا اراد ان یخلق خلقاً امر اولئك الخلاّقین فأخذوا من التّربة الّتی قال الله عزّ وجلّ فی کتابه: منها خلقناکم وفیها نعیدکم ومنها نخرجکم تارةً اخری فعجنوها بالنّطفة المسکنة فی الرّحم فاذا عجنت النّطفة بالتّربة قالا: یا ربّ مانخلق؟ قال علیه السلام فیوحی الله تبارك وتعالی مایرید ذکراً او انثی مؤمناً او کافراً اسود او ابیض شقیّاً او سعیداً، فاذا مات سالت عنه تلك النّطفة بعینها لاغیر، فمن ثمّ صار المیّت یغسّل غسل الجنابة. ۵۲۱

روی انّ جبرئیل علیه السلام قال لرسول‌الله صلی الله علیه وآله انّما قال فرعون لقومه

الزّرع ان یحفظ زرعه بالنّهار وعلی صاحب الغنم حفظ الغنم باللّیل فحکم داود بما حکم به الانبیاء من قبله فأوحی الله عزّ وجلّ الی سلیمان علیه السلام ایّ غنمٍ نفشت فی زرعٍ فلیس لصاحب الزّرع الاّ ماخرج فی بطونها وکذلك جرت السّنّة بعد سلیمان وهو قول الله تعالی کلاًّ آتینا حکماً وعلماً فحکم کلّ واحدٍ منهما بحکم الله عزّ وجلّ...۶۱۷

و فی خبرٍ آخر عنه علیه السلام: اوحی الله الی داود اتّخذ وصیّاً من اهلك فانّه قدسبق فی علمی ان لاابعث نبیّاً الاّ وله وصیّ من اهله و کان لداود اولاد عدّة؛ و فیهم غلام کانت امّه عند داود و کان لها محبّاً فدخل داود علیها حین اتاه الوحی. فقال لها: انّ الله اوحی الیّ یأمرنی ان اتّخذ وصیّاً من اهلی، فقالت له امرأته فلیکن ابنی، قال: ذلك ارید وکان السّابق فی علم‌الله المحتوم عنده انّه سلیمان فأوحی الله تبارك و تعالی الی داود ان لاتعجل دون ان یأتیك امری فلم یلبث داود ان ورد علیه رجلان یختصمان فی الغنم و الکرم. و اوحی الله عزّ وجلّ الی داود ان اجمع ولدك فمن قضی بهذه القضیّة فأصاب فهو وصیّك من بعدك، فجمع داود ولده فلمّا ان قصّ الخصمان قال سلیمان یا صاحب الکرم متی دخلت غنم هذا الرّجل کرمك؟ قال: دخلته لیلاً: قدقضیت علیك یا صاحب الغنم باولاد غنمك و اصوافها فی عامك هذا، ثمّ قال له داود فکیف لم تقض برقاب الغنم و قدقوّم ذلك علماء بنی‌اسرائیل فکان ثمن الکرم قیمة الغنم؟ فقال سلیمان:

فهرست ابیات

فهرست منابع

۶۶۱×۳۱۰۰=۲۰۴۹۱۰۰